

تأسست يوليو ٢٠٢٣



إجتماعية - ثقافية - تراثية

إدارة وتحرير : م. عصمت ضيف الله الملهطاني
المستشار الإعلامي : شيخ الصحفيين أ. عيد وحيده



ناجي بو المسمارية

بين ماضي البادية وحاضرها



عبد الله بو زوير

ليلة مع الإبل



الغزال العاشق

رواية لصابرين الصباغ

منعم لعبيدي



الإبداع في الأدب البدوي

إقرأ فى هذا العدد

أسواق الجملة بالاسكندرية	7	غفرانك اللهم - شعر	11
أ. عيد وحيدة		م.محمود الفحام	
بين ماضي البادية وحاضرها	15	النفـاق	19
أ.ناجي بو المسمارية		أ.حسني جرامون	
وحدة ليبيا من تنوعها	24	الغزال العاشق	32
أ.ضو ربيع		أ.صابرين الصباغ	
السيرة الهلالية- جزء ١٢	39	الصبّار - جزء ٢	44
د. خالد الزغيبي		أ.د.حسن شعبان	
ليلة مع الإبل	49	معركة القارة - جزء ٢	52
أ.عبدالله بو زوير		أ.قدورة العجني	
دور القبائل العربية في تشكيل الهوية	60		
أ.بسنت شعراوي			
الإبداع في الأدب البدوي	65		
أ.منعم لعبيدي			



يتشرف السادة أسرة تحرير

مجلة هلنـا .. مجلة القبائل العربية في مصر وليبيا ودول المغرب العربي

أن تمنح شيخ الصحفيين وعضو الهيئة العليا للصحافة العربية ومدير تحرير صحيفة اليوم المصري الاستاذ الصحفي / **عيد وحيـدة** هذه الشهادة واختياره مستشارًا إعلاميا لمجلة هلنـا ، وذلك لجهده العظيم ومساهمته الكبيرة فيما وصلت اليه المجلة من رقي ورواج وإثراء للحالة الثقافية .


مجلة هلنا
إنعقاد لجنة حماية التراث
بحضور محافظ مطروح
اجتماع لجنة حماية التراث اليوم بحضور معالي السيد اللواء / خالد شعيب
محافظ مطروح والسيد المهندس حسين السنينى سكرتير عام مساعد
المحافظة والأستاذ عبد الحميد القناشي رئيس اللجنة والسادة مديرى عموم
المديريات بمحافظة مطروح وكان إجتماع مثمر وتم أخذ توصيات وطرح
اقتراحات تعتبر قفزة كبيرة وإنجاز مبشر بالخير إن شاءالله للجنه المحافظة
علي التراث و إلى مزيد من التقدم والرقى والازدهار بعون الله

تكريم الشاعر والأديب البدوي
قدوره العجني

تم تكريم الشاعر والأديب البدوي أ. قدوره العجني
بشهادة تقدير في اتحاد كتاب مصر
على هامش مؤتمر الخيل في أدب البادية
وفي الصورة الإذاعي السيد حسن أمين صندوق الاتحاد
والشيخ الطحاوي سعود الطحاوي رئيس المؤتمر
والمهندس ابو أبو الفتوح البرعصي رئيس شعبة
البادية المنظمة للمؤتمر بمقر الاتحاد .





ابن القبائل العربية

د. مهدي خير الله العزومي

يحصل على شهادة الدكتوراة فى

إدارة الأعمال
تخطيط استراتيجي

في الصورة

- سيادة المستشار عوض الملهطاني نائب رئيس مجلس الدولة
- سيادة النائب حسن خيرالله
- شيخ الصحفيين أ. عيد وحيدة
- أ. مستور خيرالله
- أ. عدلى خيرالله
- الحاج خالد سفتي العزومي
- أ. صابر الشرصى
- الحاج عبده عبده فؤاد
- أ. على بوضريع
- الحاج عوض على حموده العزومى

مجلة هلنا

سكندريات



أسواق الجملة بالاسكندرية

عيد وحيدة

مجلة هلنا

منذ تولي الفريق أحمد خالد محافظ الإسكندرية المسؤولية، وهناك حراكٌ في الشارع السكندري، لا سيما على الجانب الاقتصادي، والتركيز على توفير السلع الغذائية بأسعارٍ تناسب الدخول المختلفة لمواطني الثغر.

فقد قام المحافظ بالتعاون مع الغرفة التجارية في إقامة أسواقٍ توفر السلع بتخفيضاتٍ ملحوظة، وإلغاء فكرة الوسيط.

أسواق الجملة، وبدايتها منذ شهرٍ تقريبًا بمنطقة وسط البلد (محطة الرمل)، ساهمت بشكلٍ كبيرٍ في الحد من الاستغلال واحتكار السلع.

وبعد نجاح التجربة التي تشهدها المحافظة، أصبحت ظاهرةً مع الافتتاح الثاني بمنطقة سموحة شرق المدينة.

وهناك مخططٌ باستكمال سلسلة
افتتاحات أسواق الجملة تحت إشرافٍ
مباشرٍ من المحافظة للحد من الغلاءِ
وتفاوتً الأسعار. وقد لاحظ المواطن
السكندري الفارق الواضح، فضلًا عن
استمرار الرقابة والمتابعة للجمعيات
الاستهلاكية ومنافذ أخرى تتبع التموين
والزراعة.
أسواق الجملة التي تشهدها المحافظة،
وفي وقتٍ قصيرٍ، أصبحت مرجعًا
للمواطنً السكندري والضيوف في
الترشيد في الاستهلاك وفاتورة
أسعارٍ تكوي جيوب المواطن من
لهيبً أسعار بعض التجار المستغلين.
وقد تأكد أن هذه الأسواق ساهمت
في تقليل الفجوة بين أسعار السلع
المختلفة، تماشيًا مع توجه القيادة
السياسية

والوقوف بجانب المواطن في ظل
ظروفٍ اقتصاديةٍ دوليةٍ شديدة
التعقيد أثرت على حياة المواطن
المصري.
الأمر الذي قامت الحكومة، وبتوجيهٍ
من القائد القوي الأمين، باستيراد
بيض مائدةٍ من إحدى الدول بعد
أن وصل لأسعارٍ مبالغٍ فيها، وكان
الرد من الحكومة سريعًا حتى عادت
الأسعار للهبوط لهذه السلعة
الهامة لكل بيت.
أسواق الجملة في ميادين الإسكندرية
بدايةٌ جديدةٌ للحد من احتكار التجار
للسلع والسعر.
في العدد القادم سنواليكم بالجديد
في المعروض من سلعٍ وسعر.

عيد وحيدة



غفرانك
اللهم
شعر
محمود الفحام
مجلة هلنا

ياربَّ العزةِ رِحماكا ..
من يكشفُ ضُرِّي إلاكا ..
أذنبتُ وتُبتُ ولي املٌ
في عفوكَ حين سألقاكا ..
ياربُّ يسائلني ندمي
هل تلِدُ الغَفوةُ إدراكا؟! ..
ماجدوَي العشقِ لزائلةٍ
تُنسيني يوماً نجواكا؟! ..
قد غِبتُ بِتيهٍ لكني
يممتُ الوجهَ لعُلياكا ..

ودموعِي أمست في ليلي
تهمي تَسّاءلُ ماذاكا؟! ..
وضميري يصرخُ ياغِرّ
أغرتكَ مفاتنُ دُنياكا ..
صوتُ الغُفرانِ يعاتبني
إبليس الفاجرُ أغواكا ..
فتَخِذتَ فِراشَكَ مِن أرَقٍ
ودثاركَ هَمٌّ أعياكا ..
وأراكَ الآنَ وفي وجَلٍ
دمعت من خجلٍ عيناكا ..

ندمٌ وعيونُكَ تذرفهُ
وتتوبُ ويصدُقُ مسعاك

..

إن تخشَ اللّهَ فلاعَجَبٌ
أن الشيطان سيخشاكا

..

واللّه يقول أياعبدي
إن ثُبتَ وتبت فبشراكا

..

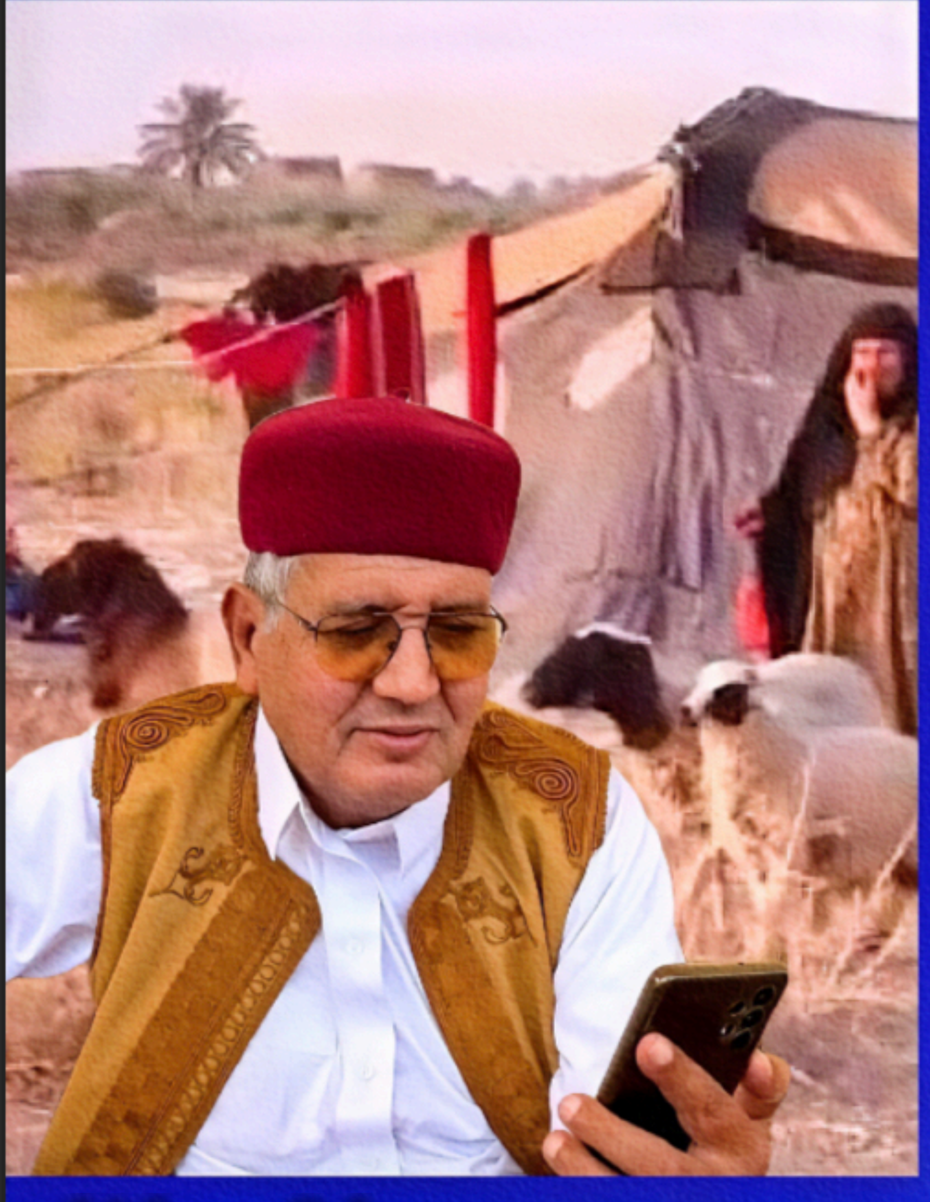
ولعل كتابك منشورٌ
في يوم الحشر بيُمناكا

..

م. محمود الفحام

بين ماضي البادية وحاضرها

أنفس هنية وشقية



ناجي بو المسمارية

مجلة هلنا

يحكي لي صديقي قال :

**

"تزوجت في خيمة والدي بيت عرب في بداية الستينات ولم يكن يفصل بيني وبين والدي ووالدتي وباقي أسرتي سوى حاجز بطانية بائدة.

كنت أستطيع أن أسمع من ورائها همساتهم وأعد أنفاسهم وحركاتهم وسكناتهم، وكنت لا أستطيع الكلام مع زوجتي سوى بالإشارة حتى لا يسمعني والدي. ولم أسترح لهذا الوضع وخاصة في وجود أخواتي البنات الكبار، فبعد شهر من الزواج ذهبت بزوجتي لطلق عقالها وزيارة أسرتها وبدون ذبيحة، وقلت لهم سأترك زوجتي عندكم وسأذهب إلى العمل بليبيا ولن أعود إلا بعد توفير خيمة خاصة بي، فبدون بيت خاص لا معنى للحياة ولا للوطن.

وذهبت إلى مطروح لإنهاء بعض الإجراءات والأوراق استعدادًا للسفر،

فقابلت والدك الحاج عبداللطيف بوالمسمارية رحمة الله عليه، وسألني عن حالي وأحوال الأسرة وماذا تفعل في مطروح، فحكيت له عن حكايتي وقلت له أنوي الذهاب إلى ليبيا لتوفير ثمن بيت.

ضحك وقال لي أبشر، كان على البيت فقط أمره سهل، لن تذهب إلى أي مكان، والدك كبير في السن وهو في حاجة إليك.

وذهب بي إلى محلات التموين السكر والأرز والأعلاف وإلى الجمعية الزراعية وجمع لي أجولة خيش كثيرة فارغة،

وأخذني إلى قريته وجمع أكثر من عشر عجائز، وقال لهن نريد بيتًا لفلان في خلال أيام، وكل واحدة تأتي بشيء من بيتها رواق أو كربة أو طريقة أو رمة واحدة من كل سيدة، وأتى بجابرين وطلب من عمال المزرعة الحكومية أن يصنعوا لي من فروع الشجر خماميس ومقاديم، وكلف أحدهم بصنع خلة مفردها خلال من شبردق بجوار منزله، وصنع لي أكثر من أربعين خلالًا، وجمع من كل بيت مثبتًا (وتدًا)، لم يمر ثلاث أيام إلا وقد قامت العجائز ببناء البيت للتجربة، وجمعن لي فرش البيت وأدوات المطبخ صوفة وشكوة وعدد اثنين (زير) جالون جرماني وموقد بابور قاز وبعض الأواني وحتى المكحلة والأمشاط وشليفين وأغطية قديمة ومخدتين من التبن، وجمع لي بعض المال من إخوته ومن بعض أثرياء القرية، وطلب من سائق عربة نقل كانت تأتي لكم بأعلاف توصيلي في طريق عودته إلى مكاني، ووصلني إلى منازلنا وتمت، وقمت ببناء الخيمة واشتريت جحشًا صغيرًا لجلب الماء والحطب والتسوق والحرث وكأني ملكت الدنيا بحذافيرها وما فيها، وذهبت إلى أهل زوجتي وأحضرت زوجتي، وكم كانت فرحتهم وفرحتها عندما رأت بيتها مبنيًا، وزغردت حتى بح صوتها، وكانت أسعد أيام عمري، ولم

يكن هناك أروع من أن أغلق خيمتي على نفسي حتى وإن كانت غير محكمة الإغلاق، وأخذ حريتي في بيت خاص بي وكلبي ينبح أمامه، وكنت أخشى عليه من شمس أغسطس ومن رياح وزعازيع أمشير وصقيع فورار وأمطار الشتاء وحتى من نسمات الصيف الندية، وكنت على استعداد أن أبذل الروح وكل غالٍ ورخيص في سبيله وفي سبيل تلك الأجولة، ورغم أنني لم يكن لدي طعام سوى بعض الخبز والبصل والملح، لكن ذلك لم يهمني، أهم شيء عندي كان مكان خاص بي يآويني ويسترني، فالبيوت ستره، والبيوت وطن صغير به يعزز الانتماء للوطن الكبير حتى ولو كان عشة دجاج.

من الممكن أن تستغني عن أي شيء وتعيش بدونه إلا بيتك، سترك وستر أولادك يقيك من البرد والشمس والمطر والحر والعجاج، وفيه الأمن والأمان، ويجب أن يؤخذ ذلك في الاعتبار.

واستطرد صديقي قائلاً: أنا الآن أعيش في قصر وعندي سيارات فخمة وثلاجات مليئة باللحوم والأسماك وكل أنواع الفواكه والعصائر، ورغم ذلك أتمنى أن أشعر بالأمان وبالسعادة تلك التي شعرت بها يوم بناء خيمتي وأكلي للخبز والبصل وتوسدي للعكة أو للصوفة حتى تصبح دافئة ونستطيع إخراج منها السمن المحلى المتجمد لنعد منه وجبة كانت تعد من أشهى وجبات الإفطار عند أهل البادية احتفالاً بمنزلنا الجديد.

ناجي بو المسمارية



حسني جرامون

مجلة هلنا

- أقوالٌ عن النفاقِ، حكمٌ عن المنافقينَ:

النفاقُ هو أن تقولَ ما لا تفعلَ، وتظهرَ عكسَ ما تخفي في قلبِك.
أن تظهرَ الخيرَ وتكتمَ الشرَّ، أن تذيعَ الحبَّ والاحترامَ وتخفي الكرهَ والحسدَ.
المنافقُ هو الشخصُ الذي يتسمُ بهذه الصفةِ، لأنه يمتلكُ وجهينِ، يظهرُ أحدهما حسبَ الموقفِ الذي يمرُّ به.
فالنفاقُ من أسوأ الصفاتِ التي يتصفُ بها الشخصُ، فهي تنشئُ البعدَ والكرهَ بينَ الناسِ وتفرّقُ بينهم.
لهذا نوردُ لكم هنا أقوالًا مأثورةً تعبّرُ عن النفاقِ والمنافقينَ:
لا تبالغْ في المجاملةِ حتى لا تسقطَ في بئرِ النفاقِ.
النّفاقُ أخُ الشّركِ، من عملَ ما ليس من طَبعهِ ولو كان صوابًا تعرضَ لخطرينِ: خطرِ النفاقِ وخطرِ الإخفاقِ.
فسادُ العلماءِ من الغفلةِ، وفسادُ الأمراءِ من الظلمِ، وفسادُ الفقراءِ من النفاقِ.
النّفاقُ شينُ الأخلاقِ.
المنافقُ هو من يمتازُ بحلوِ وعذبِ الكلامِ ليقنعكَ بأنه صادقٌ، وقادرٌ على القيامِ بأي شيءٍ تطلبهُ منه.
النفاقُ الاجتماعيُّ في زماننا هو التلونُ في العلاقاتِ، وعدمُ الوضوحِ في المواقفِ والمبادئِ والأحاديثِ لغرضِ الإفسادِ أو الانتفاعِ الشخصيِّ.
النفاقُ في الحبِّ أكثرُ أنواعِ النفاقِ شيوعًا، والمنافقونَ باسمِ الحبِّ ما أكثرهم.
النّفاقُ مبنيٌّ على المينِ، ما أقبحَ بالإنسانِ باطنًا عليلًا وظاهرًا جميلًا.
أنا منافقٌ إذا أنا موجودٌ، هذا حالهم اليومَ وغدًا وربما بعدَ الغدِ، ولكن مهما ارتفعوا للقمةِ سيبقونَ في ظلماتِ الأنفاقِ.
سيظلونَ تحتَ الأرضِ كالأفاعي تستبيحُ النورَ فقط لمداهمةِ فريستها.
المنافقُ لسانهُ يسرُّ، وقلبهُ يضرُّ.
المنافقُ قولهُ جميلٌ، وفعلهُ الدّاءُ الدّخيلُ.

أيها المنافقُ ستظلُّ موجودًا، ولكنك ستظلُّ أيضًا أحقرَ من في الوجودِ.
المنافقُ وقحٌ، غبيٌّ، متملّقٌ، شقيٌّ.
المنافقُ لنفسهِ مداهنٌ، وعلى النّاسِ طاعنٌ.
أظهرَ النّاسُ نفاقًا من أمرَ بالطّاعةِ ولم يعملْ بها، ونهى عن المعصيةِ ولم ينتهِ عنها.
سألَ رجلٌ صاحبهُ: لماذا هواءُ الفجرِ نقيٌّ؟ فقالَ: لأنه يخلو من أنفاسِ المنافقينَ.
احذروا أهلَ النّفاقِ، فإنّهم الضّالّونَ المضلّونَ، الزّالّونَ المزلّونَ، قلوبهم دويّةٌ، وصحافهم نقيّةٌ.
المنافقُ مريبٌ، المنافقُ مكورٌ، مضرٌّ، مرتابٌ.
إنّي أخافُ عليكم كلّ عليمِ اللّسانِ، منافقِ الجنانِ، يقولُ ما تعلمونَ ويفعلُ ما تنكرونَ.
المنافقونَ ولاةُ الكفرةِ، وعداةُ المسلمينَ، وأئمةُ الكيدِ للمسلمينَ، وخداعهم عادةُ المنافقينَ.
تهزيعُ الأخلاقِ من كثرَ نفاقهُ، لم يعرفْ وفاقهُ.
من خصالِ المنافق أن يحبَّ الحمدَ، ويكرهَ الذمَّ.
ما أقبحَ بالإنسانِ أن يكونَ ذا وجهينِ.
النفاقُ ليس خطيئةً اجتماعيةً عموماً، وإنما فضيلةٌ.
مثلُ المنافقِ كالحنظلةِ الخضرةِ أوراقها، المرّ مذاقها.
إن المؤمنَ يقولُ قليلاً ويعملُ كثيرًا، وإن المنافقَ يقولُ كثيرًا ويعملُ قليلاً.
نفاقُ المرءِ من ذلٍّ يجدهُ في نفسهِ، فإنّ من أمراضِ النفوسِ التي انتشرتْ في المجتمعِ المسلمِ مرضُ النميمةِ والنفاقِ، وهو داءٌ خبيثٌ يسري على الألسنِ، فيهدمُ الأُسرَ، ويفرقُ الأحبةَ، ويُقطعُ الأرحامَ.
أشدُّ النّاسِ نفاقًا من أمرَ بالطّاعةِ ولم يعملْ بها، ونهى عن المعصيةِ ولم ينتهِ عنها. خادمُ سيدينِ يكذبُ على أحدهما.
عن بلالِ بنِ سعدٍ قالَ: لا تكنْ وليًا للهِ في العلانيةِ وعدوهُ في السرِّ. أعلمَهُ الرمايةَ كلَّ يومٍ، فلمّا اشتدَّ ساعِدُهُ رماني.

المنافقونَ يدَّعونَ الإصلاحَ على الرغمِ من فسادهم وضلالهم.
ليس الذنبُ ذنبي، إنه ذنبُ الذي سكبَ النفاقَ والغشَّ والخديعةَ في النهرِ.
ماذا يفعلُ ذو مروءةٍ بين أهلِ الخداعِ في أرضِ النفاقِ؟
النفاقُ هو الذي يجعلُ الناسَ سعداءَ، أما الحقيقةُ فتجعلهم يشعرونَ بالحزنِ.
المنافقونَ مذبذبونَ، لا يعلنونَ الكفرَ بصراحةٍ.
إن النفاقَ وهو زيفٌ أخلاقيٌّ يبرهنُ على قيمةِ الأخلاقِ الصحيحةِ.
المنافقُ ليس له شخصيةٌ ثابتةٌ، وليست له مبادئٌ أو قيمٌ، مهزومٌ من الداخلِ، نشأ على الكذبِ والخداعِ والمراوغةِ، كاذبُ اللهجةِ، متأرجحٌ، يتمايلُ على حسبِ المصالحِ التافه.
إن شرَّ النفاقِ ما داخلتهُ أسبابُ الفضيلةِ، وشرُّ المنافقينَ قومٌ لم يستطيعوا أن يكونوا فضلاءَ
بالحقِّ، فصاروا فضلاءَ بشيءٍ جعلوهُ يشبهُ الحقَّ.
ذو الوجهينِ منافقٌ في العلاقاتِ الاجتماعيةِ، كاذبٌ ومخادعٌ في علاقاتهِ ومبادئهِ، متلونٌ في مواقفهِ ومشاعرهِ.
إن من النفاقِ ما هو أصعبُ احتمالاً على أصحابهِ من الصراحةِ.
أولم يجعلِ الإسلامُ إخلافَ الوعدِ من علاماتِ النفاقِ؟
النفاقُ من كبائرِ الذنوبِ.
إذا كان قانونُ الفيزياءِ يقولُ إن الضغطَ يولدُ الانفجارَ، فقانونُ الاجتماعِ يقولُ إنّ الضغطَ يولدُ النفاقَ الاجتماعيَّ.
ستجدونَ المنافقينَ في كلِّ مكانٍ.
ما أكثرهم حولنا بأقنعتهم الزائفةِ وابتسامتهم الباهتةِ، ما أحقرهم وقد تواطئوا على طمسِ الحقيقةِ وتزيينِ الباطلِ، ما أعجبهم وقد انتهجوا الغشَّ والخداعَ والزيفَ طريقًا إلى القمةِ.
النّفاقُ توأمُ الكفرِ، النّفاقُ يفسدُ الإيمانَ.
المنافقُ الحقيقيُّ هو الذي لا يُدرَكُ خِداعُهُ، لأنه يكذبُ بصدقٍ.
مجتمعنا لا يرى بالعينِ، بل يرى بالأذنِ.

درهمُ نفاق يساوي حفنةً من الطموح.
أنا مخادعٌ إذاً أنا موهوبٌ، هذا هو منهاجهم.
التمييزُ هو الكلمةُ المهذبةُ للنفاق.
رياءٌ، نفاقٌ، وتملقٌ رخيصٌ، عملاتٌ زائفةٌ لا تنطلي على أحدٍ.
آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدثَ كذبَ، وإذا ائتمنَ خانَ، وإذا وعدَ أخلفَ.
أنا منافقٌ إذاً أنا موجودٌ، هذا هو شعارُ المنافقينَ.
إن المنافقَ ما هو أصعبُ احتمالاً على أصحابهِ من الصراحةِ.
من نظرَ في عيوبِ الناسِ فأنكرها، ثم رضيها لنفسهِ، فذلك المنافقُ بعينهِ. يا أهلَ النفاقِ، تلك هي أرضكم، وذلك هو غرسكم. ما فعلتُ سوى أن طفتُ بها، وعرضتُ على سبيلِ العينةِ بعضَ ما بها. فإنّ رأيتموهُ قبيحاً مشوهاً، فلا تلوموني، بل لوموا أنفسكم. لوموا الأصلَ، ولا تلوموا المرآةَ. أيها المنافقونَ، هذه قصتكم. ومن كان منكم بلا نفاق، فليرحمني بحجرٍ. مثلما نملكُ طاقةً هائلةً من المرحِ، نملكُ قدرةً على النفاقِ الاجتماعيِّ لا مثيلَ لها في العالمِ. إذا سمعتَ الرجلَ يقولُ فيك من الخيرِ ما ليس فيك، فلا تأمنْ أن يقولَ فيك من الشرِّ ما ليس فيك. المجاملةُ هي النفاقُ الصغيرُ. نفاقُ القارئِ أسوأُ من نفاقِ الحاكمِ. أجهلُ الناسِ من كان على السلطانِ مدلاً، وللإخوانِ مذلاً. الأكاديميةُ في الفنِّ شأنها كشأنِ النفاقِ والمظهريةِ في الدينِ. كلُّ ما يوجعُ النفوسَ الحساسةَ في هذا العالمِ هو سوءُ التفاهمِ والنفاقِ. اجتنبْ مصاحبةَ المنافقِ، فإن اضطررتَ، فلا تصدقْهُ.

حسني جرامون



وحدة ليبيا
من تنوعها
جزء 2
مجلة هلنا
ضو ربيع
بنغازي
طبرق
مصراته
سرت
والجفرة

8. حداءُ الإبلِ: وهو معروفٌ مثلَ الحداءِ العربيِّ الفصيحِ ويلقيهِ الرجالُ في القوافلِ قديماً.
9. أغاني الجزِّ والحصادةِ: وهي أبياتٌ رباعيةٌ أو أبورجيلةٌ تُقالُ لرفعِ الهممِ والحثِّ على العملِ يختصُّ بها الرجالُ فقط.

جـ - الرقصاتُ التعبيريةُ:

إذا كانت الموسيقى هي الفنَّ التجريديَّ الخالصَ فإنها إذا صاحبها شعرٌ تتحولُ إلى أغاني وإذا صاحبها الرقصُ التعبيريُّ تتحولُ إلى لوحاتٍ فنيةٍ رائعةٍ تؤدي رسالتَها عن طريقِ السمعِ والبصرِ في آنٍ واحدٍ ومن خلالِ لوحاتِها الحيةِ تبرزُ التنوعَ الفنيَّ للإبداعِ وتختلفُ الرقصاتُ الفنيةُ من منطقةٍ إلى أخرى.
1. النخُّ: كلمةٌ تُطلقُ على الرقصِ بالشعرِ وهي تُلقى كلوحةٍ فنيةٍ جلوساً في ليبيا بينما تُلقى في الخليجِ العربيِّ وقوفاً وهي من العاداتِ العربيةِ القديمةِ أتت من الجزيرةِ تصاحبُها في ليبيا إلقاءُ الطبيلةِ بمختلفِ أنواعِها أو آلةِ الزكرةِ أو المقرونةِ المعروفتين وهي اندثرت الآن وكانت ذاتَ أغراضٍ اجتماعيةٍ وهي لوحةٌ جماعيةٌ تُعبرُ عن الفرحِ والمشاركةِ عادةً ما تُؤدى ليلاً بحضورِ الرجالِ أيضاً.**
2. الكاسكا: رقصةٌ ليبيةٌ معروفةٌ في كلِّ أنحاءِ ليبيا وهي لوحةٌ تُؤدى جماعيةً يصاحبُها آلةٌ موسيقيةٌ صوتيةٌ شعبيةٌ وهي تُعكسُ رسالةً مفادُها السلامُ والمحبةُ بدلَ المشاجرةِ يُؤديها الرجالُ في الأفراحِ والمناسباتِ تُستعملُ فيها عصيٌّ خشبيةٌ أو من جريدِ النخلِ وهي رقصةٌ تعبيريةٌ تختصُّ بها ليبيا في الوطنِ العربيِّ.
3. رقصةُ معدان: تُلقى على إيقاعِ لحنيٍّ زجليٍّ أو بمصاحبةِ آلةٍ في حالاتٍ نادرةٍ ويُستعملُ فيها الرقصُ باللباسِ التقليديِّ الليبيِّ "الجردِ" وهي رقصةٌ فلكلوريةٌ تشتهرُ بها المنطقةُ الوسطى في ليبيا.

د - الفن التارقي : توجدُ في ليبيا قبائلُ الطوارقِ في الجنوبِ والجنوبِ الغربيِّ ولديها خصوصياتٌ فنيةٌ في الموسيقى واللوحاتِ الراقصةِ التعبيريةِ وشعرِها الشعبيِّ الخاصِّ بلغتها " تماشاق " وهي قبائلُ ذَاتُ ثقافةِ واحاتٍ صحراويةٍ تتميزُ باللباسِ التارقيِّ الفضفاضِ والعمامةِ الملثمةِ التي تلقي بها اللوحاتُ الحيةُ التعبيريةُ.

1. الربابةُ : وهي آلةٌ وتريةٌ خاصةٌ بالطوارقِ تقومُ بعزفِها النساءُ.

2. الامزادُ : وهي جلساتٌ ليليةٌ على صوتِ موسيقى الربابةِ تؤديها النساءُ ويشاركُ الرجالُ بالرقصاتِ بالسيوفِ أو بدونِها حسبَ اللوحةِ وهي لوحاتٌ تمثلُ مضمونًا حربيًا أحيانًا يؤدي نفسَ غرضِ رقصةِ " العرضةِ " في الشرقِ العربيِّ.

وهي تُلقى بشكلِ استعراضٍ دائريٍّ أو مستطيلٍ وهي من الفلكلورِ الليبيِّ المتميزِ والجميلِ وكذلك توجدُ آلةُ الطبلِ التي تستعملُ إيقاعًا للرقصِ التعبيريِّ وعادةً ما يؤدي في الأفراحِ والمناسباتِ وهنالك فرقٌ فنيةٌ متخصصةٌ في هذا المجالِ.

ولرجالِ الطوارقِ أيضًا أغانيهم لحداءِ الإبلِ في طرقِ القوافلِ وكذلك أغاني الفروسيةِ والمهاريِّ وفي أثناءِ القتالِ الشعرُ الحماسيُّ.

هـ - قبيلةُ التبو : قبيلةُ التبو هي قبيلةٌ ليبيةٌ تقطنُ في الجنوبِ الليبيِّ في ريبانةَ والكفرةِ وكذلك في القطرونِ وتجرهي وتراثُها له خصوصيةٌ إذ أنه تلاقحٌ بين المؤثراتِ الإفريقيةِ والعربيةِ وهي لديها أغانيها وأشعارُها الخاصةُ بلغتها التي تسمى لغةَ " تدا " وهي خاصةٌ بها وتستعملُ إلى جانبِ الشعرِ والرقصاتِ التعبيريةِ آلاتٍ موسيقيةً هي :

1. آلةُ العودِ التباويِّ : وهي آلةٌ صغيرةٌ وتريةٌ شبيهةٌ بالربابةِ وهو ذو أوتارٍ يُنقرُ عليها عكسَ الربابةِ التي تُعزفُ بالقوسِ ويسمونه " كليلي " ويتكونُ من صندوقِ صدى وعصا طويلةٍ مقبضٍ خشبيٍّ به وتران وأحيانًا ثلاثةٌ ويسمى أيضًا " شاغاني ".

هل هناك أي شيء آخر يمكنني مساعدتك به؟

2. كيكي : وهي الربابةُ التباويةُ التي تُعزفُ بالقوسِ وتُصدرُ ألحانًا شجيةً وهي آلةٌ تركيبتُها قريبةٌ من العودِ التباويِّ.
3. كيدي : وهو طبلٌ مستطيلٌ يُركبُ باستخدامِ حزامٍ على مستوى الخصرِ وهو آلةٌ إيقاعيةٌ للغناءِ والرقصِ.
4. نقارة : وهي طبلةٌ يُدقُّ عليها شخصانِ بأعوادٍ ويُستخدمُ كإيقاعٍ خلال النقرِ عليها وكثيرًا ما يُصاحبُ ذلك رقصاتٌ على شكلِ لوحاتٍ تعبيريةٍ منها رقصةُ:
- يوري : وهي رقصةُ الحربِ وتُؤدَّى جماعيةً وهي نفسُ غرضِ رقصةِ " العرضةِ ".
- طزا : وهي رقصةٌ تُؤدَّى في الأفراحِ عادةً صحبةَ مغنٍّ وبها مشاركةٌ جماعيةٌ.
- كيدي أدبا " رقصةٌ دائريةٌ تُؤديها النساءُ ولها فنُّها الشعريُّ يُسمى " هامي " يُرافقه قرعُ الطبولِ يُقالُ في المناسباتِ.
- رقصةُ " شالي " : وهي رقصةٌ جماعيةٌ رجالٌ ونساءٌ على شكلٍ دائريٍّ.
- رقصةُ " تانلا " : رقصةٌ شبابيةٌ يُؤديها الشبابُ على إيقاعِ الطبولِ تتميزُ بالقفزِ على إيقاعِ الطبلِ.
ويوجدُ كذلك أغاني وأشعارٌ تُلقى من قبلِ النساءِ والرجالِ لدى هذه القبيلةِ التي تتميزُ بفنِّها وتراثِها الخاصِّ بها في الجنوبِ.
هذا عرضٌ مبسطٌ لفنونِ وتراثِ ليبيا المتنوعِ والمعاني الجماليةِ الناتجةِ عنه وهي ترسمُ بانوراما سمعيةً وبصريةً متنوعةً وموحدةً في رؤيتِها للحياةِ ونابعةً من بيئتِها الحضاريةِ الخالدةِ وهي تعبيراتٌ فنيةٌ حضاريةٌ تعكسُ معانيَ وقيمًا بارزةً في الفنونِ العربيةِ والإسلاميةِ هذا العرضُ الذي تم فيه إلقاءُ نظرةٍ على الفنونِ التراثيةِ فيما يبرزُ التنوعَ الثقافيَّ من خلالِ الألعابِ الشعبيةِ وألعابِ الأطفالِ.
ومنها الألعابُ الورقيةُ كلعبةِ " اسكيمبيل " الورقيةِ انفردَ بها الليبيونَ وهي تُلعبُ " برايسَ وبحارهِ " وهي إشارةٌ إلى...

أمجادُ البحريةِ الليبيةِ في المتوسطِ مثلًا بالإضافةِ إلى دراسةِ الآثارِ المتعددةِ أي الآثارِ المتعاقبةِ من مراحلَ قديمةٍ والتي كانت نقوشُها في جبالِ " أكاكوسَ " و " واركنوَ " والجبلِ الغربيِّ من بداياتِ ظاهرةِ الأمازوناتِ " والغرغوناتِ " وهي مجتمعاتٌ أموميةٌ حكمت فيها النساءُ مرورًا بحضارةِ جرمةَ والقبائلِ الليبيةِ القديمةِ - والإغريقِ والفينيقيونَ والرومانِ الوندالِ البيزنطِ وعصورِ الاحتلالاتِ الحديثةِ في الخمسةِ قرونٍ الأخيرةِ مرَّ بها الإسبانُ وفرسانُ القديسِ يوحنا والتركُ والطليانُ والإنجليزُ.

فعكستِ الآثارُ المراحلَ المتعددةَ والإنتاجَ المتنوعَ في هذه البلادِ ولازالت مراكزُ الإشعاعِ الفكريةِ باقيةً آثارُها ومنها ما هو مستمرٌّ في الزوايا التي قادت الحياةَ الفكريةَ من البيضاءِ - الجغبوبِ - الكفرةِ - أبوماضي في ككلةَ وقرزةَ - وزاويةِ الأزهري في طبقةَ وزاويةِ بن منيعٍ في زاويةِ الباقولِ وزاويةِ البخابخةِ في يفرنَ والحضيري في سبها والجامعةِ الأسمريةِ وطريقةِ الزروقِ في مصراتةَ فقد لعبتِ المناراتُ الدينيةُ دورًا فكريًا متميزًا ببعدِه الصوفيِّ.

وقامتِ الحلقاتُ الصوفيةُ بإنتاجِ زجلِها الشعبيِّ الخاصِّ بها في الأذكارِ والمدائحِ الدينيةِ وهي تُلقى غالبًا باستخدامِ الدفوفِ من قبلِ المريدينَ وهي ثقافةٌ شعبيةٌ لها خصوصيتُها وأحيانًا تُلقى قصائدُ بالفصحى كالبوصيري أو ابنِ عربيٍّ ولكلِّ طريقةٍ بعدها الشعبيُّ وشيخُها إلا أنها ساهمت عن طريقِ الزوايا في الحفاظِ على اللغةِ وتعليمِ القرآنِ الكريمِ إضافةً إلى فرضِ نسقِها وتدينِها على أتباعِها ولعبت دورًا رياديًا فكريًا واجتماعيًا سياسيًا في مراحلِ تاريخِ البلادِ الثقافيِّ ليكون توحيديًا في الذاكرةِ الجماعيةِ الليبيةِ - ولها تأثيراتُها وجمهورُها في دولِ الجوارِ أيضًا وليس هنا مجالُه -وتوجد ظاهرة المزارات وهي احتفالات سنوية تقام حول اضرحة الاولياء تصاحبها العاب الفروسية واطلاق النار في مشاركات شعبية مثلها مثل الاحتفالات السنوية في دول الجوار ولها مدلول جماعي وقيمي ورمزي فذ ذاكرة الشعب .

الموسيقىُ الشعبيةُ : تستخدمُ الموسيقى الشعبيةُ قوالبَها الخاصةَ ومقاماتِها الموسيقيةَ وتقتربُ بعضُها من درجةِ " الرستِ " " دو " وبعضُها " سيكاه " في السلمِ الموسيقيِّ أو مقاماتٍ قريبةٍ من " الحسينِ " " والمحيرِ عراقِ " وبعضُها سلمٌ ثلاثيٌّ " فا – صو – لا " وهذا موضوعٌ يحتاجُ إلى باحثٍ متخصصٍ أما من ناحيةِ الآلاتِ بالإضافةِ إلى السالفةِ الذكرِ لدى قبيلتي الطوارقِ والتبو هناك آلاتٌ تُستخدمُ في عمومِ ليبيا وهي آلاتٌ وتريةٌ مثل العودِ المعروفِ وصوتيةٌ مثل الزكرةِ والشبابةِ " الفحيلِ " و " المقرونةِ " والغيطةِ في بعضِ الواحاتِ والقصبةِ أما الزكرةُ الأكثرُ انتشارًا في الغربِ والجنوبِ فهي شبيهةٌ بآلةِ القربةِ الاسكتلنديةِ وتُصدرُ أصواتًا قويةً من خلالِ النفخِ فيها وخروجِ الأنغامِ عن طريقِ الأصابعِ الموجودةِ على قضيبينِ من الأمامِ وهي آلةٌ محليةٌ.

ثم دخلتِ الآلاتُ الصوتيةُ الأخرى مثل الكمانِ والبيانو " السنترا الإلكترونيِّ " والأكورديونِ الذي حُوِّلَ من نغمٍ غربيٍّ إلى شرقيٍّ وكذلك الآلاتُ الإيقاعيةُ المتعددةُ الاستعمالِ مثل الطبلِ والدفِّ والدربوكةِ.

تتميزُ الموسيقى الشعبيةُ بنسقِها المحليِّ الليبيِّ قديمٍ إلا أنها أثرتْ وتأثرتْ بدولِ الجوارِ وأفريقيا ما وراءَ الصحراءِ وتنقسمُ إلى موسيقى حضريةٍ وريفيةٍ أو صحراويةٍ وهي ثريةٌ عن الموسيقى الكلاسيكيةِ والوافدةِ تتداخلُ معها وتُشكلُ تنوعًا يُودي رسالةً وجدانيةً قائمةً من حيثُ صيغتِها وألوانِها المتعددةِ.

المرسكاوي : هو فنٌّ وتراثٌ شعبيٌّ نسبةً إلى مدينةِ مرزقَ العاصمةِ التاريخيةِ للجنوبِ الليبيِّ وهو فنٌّ شعبيٌّ تم تطويرُه وأصبحتْ تُصاحبُه الآلاتُ الحديثةُ وانتشرَ في كلِّ أنحاءِ البلادِ وأصبحَ منتشرًا في الدولِ المجاورةِ مثلَه مثلَ ظاهرةِ الأغاني الليبيةِ وله فنانوه الشعبيونَ وهو فنٌّ ثريٌّ طُوِّرَ في كلِّ أنحاءِ ليبيا.

واشتهرَ منذُ نصفِ قرنٍ تقريبًا من الجنوبِ إلى الشمالِ والشرقِ والغربِ ويحتوي على كلِّ الألحانِ وأغلبِ العروضِ والمقاماتِ وأنتجَ آلافَ الأغاني التي يُؤديها أفرادٌ مبدعونَ وفنانونَ وفرقٌ خاصةٌ في المناسباتِ الرسميةِ الشعبيةِ وسجلَ قفزةً مهمةً في التراثِ الشعبيِّ الليبيِّ وقامَ بإعادةِ إنتاجِ الألحانِ والكلماتِ الشعبيةِ القديمةِ وإعادةِ إنتاجِها أحيانًا كثيرةً وتقديمِها من جديدٍ ويستخدمُ كلماتِه من خلالِ الأدبِ الشعبيِّ وأحيانًا يأخذُ المواويلَ من اللغةِ العربيةِ الفصحى وهو جديرٌ بالدراسةِ والتقييمِ لأنَّه فنٌّ تراثيٌّ أصيلٌ حافظَ على الشخصيةِ المحليةِ من مواجهاتِ الفنونِ والموسيقى الوافدةِ التي تُدعى العالميةَ وهي مسخٌ لا أكثرَ ولا أقلَّ من " الفرانكو أراب ".

الخاتمةُ ..

من خلالِ هذا العرضِ للتنوعِ الثقافيِّ الليبيِّ رسمنا من خلالِه صورةً صغيرةً لبانوراما التنوعِ من خلالِ التركيزِ على الموسيقى والشعرِ والرقصِ التعبيريِّ والتراثِ مرورًا بالمنتجاتِ الحضاريةِ من آثارٍ ومراكزَ علميةٍ ولم تتناولْ بشكلٍ موسعٍ الأدبَ الفصيحَ والإنتاجَ الفكريَّ أو الوشمَ أو الأسطورةَ لعدمِ اتساعِ المجالِ في هذه الوريقاتِ إلا إنَّ هذا التنوعَ لا زالَ يؤدي رسالتَه في الداخلِ والخارجِ وما وجودُ قصيدةِ اللغةِ الثالثةِ في الزجلِ الشعبيِّ الليبيِّ إلا رسالةٌ إلى شقيقاتِها العربياتِ لكي تنتقلَ القصيدةُ المحليةُ إلى دائرةٍ أوسعَ وكذلك القصيدةُ المحكيةُ الليبيةُ التي تحاولُ أن تأخذَ موطئَ قدمٍ لها والأغنيةُ الليبيةُ التي أداها أشهرُ فنانينَ وفناناتِ العربِ وتميزتْ معانيَها وجمهورُها أيضًا - ليبيا زاخرةٌ غنيةٌ متنوعةٌ حضاريةٌ مؤثرةٌ في محيطِها الإقليميِّ سياسيًا - ثقافيًا - اقتصاديًا - اجتماعيًا نتيجةً لموقعِها الجغرافيِّ المتميزِ الذي حباها به اللهُ، والتاريخِ والجيوسياسيةِ.

وهذا التنوعُ هو الذي أنتجَ أطولَ مقاومةٍ في الوطنِ العربيِّ ضدَّ الاستعمارِ لمدةِ (21) سنةٍ " 1911 – 1932 " في تماسكِ " قوى مقاومةٍ عربيةٍ بتماسكِها الاجتماعيِّ ونسيجِه القويِّ وحتى الصراعاتِ التي حصلتْ تاريخيًا هي بين أفرادٍ في صراعٍ على السلطةِ وليس بين جماعاتٍ أو كتلٍ جهويةٍ وهذا يحتاجُ إلى دراسةٍ لوحدِه في علاقةِ المجتمعِ بالدولةِ تاريخيًا في هذا البلدِ تداخلَ العلومُ اليومَ في دراسةِ الثقافةِ العامةِ للشعوبِ من أنثروبولوجيا إلى إثنولوجيا وعلمِ نفسٍ وسيسيولوجيا وعلومٍ سياسيةٍ أصبحتْ لها علاقةٌ بالأمنِ القوميِّ لأيِّ مجتمعٍ كان لذا وجبَ على البحاثِ الانتباهُ والتصدي لمحاولاتِ توظيفِ التراثِ لكي ينتجَ رجعَ صدىً لنظرياتِ التفكيكِ القادمةِ من المشروعِ الإمبرياليِّ ولها علماؤُها وأدواتُها التي تحاولُ أن تمزقَ وحدةَ اللغةِ والتاريخِ والانتماءِ والمصيرِ لبرنامجٍ بدأ واضحَ المعالمِ في القرنِ الواحدِ والعشرينَ مع تشجيعِ إقامةِ مراكزَ للدراساتِ في الداخلِ والخارجِ للتصدي لذلك لأنَّ له علاقةً بما يجري الآن وفقَ اللهُ مطبوعتَكم كلمةَ ليبيا لما فيه خيرُ البلادِ وأجيالِها .

ضو ربيع


صابرين الصباغ
الغزال العاشق
مجلة هلنا
الفصل
الثاني
الجزء الثاني

ألمحه في غلالة من نور يقترب ويقترب ، يدنو يحمل بكفيه طبقًا فضيًا لامعًا، يلتفون جميعاً حوله وحولي، أرمقه بنظرة خاطفة وقد هالني ما رأيت،... إنه حميد ابني بجسد حميد الأول، يتهلل وجهي فرحًا، أقوم من مقامي، أخطفه بين ذراعيَّ ، تنهمر الدموع مني/منه، تتحسس كفه بطني، أنظر إليه باستفهام فيهمس لي:

- ما زلتُ داخلكِ.

أفيق من غفوتي...

كنت معك يا حميد كبيرًا /صغيرًا .. ليتني لم أستيقظ لأظل أنهل من نهرىَّ وجودكما .

(العين ترضى بمنام.. تراعى فيه عزيز وتنعمي)

كلما اندلعت أصوات الفرح من بيت حميد وبيت عروسه، التي سترتدي ثوب زفافي، ستمتطي هودج حياته تاركة خلفها قلبي المذبوح كأني بها تمسك بيدها السكين يقطر دمي يلعقه أهل قريتنا فرحين!

قبل زفافه بيوم واحد...

مر من أمامنا كأن قدماه فقدت ذاكرة الطريق! يلقي علىَّ نظرة الوداع مطلقًا لحيته، الدموع تروى دربه وملابسه التي لم يغيرها منذ أيام، ونظرة قاتلة من مقتول لقتيله.

(حسيت السما في اللرض .. ضباب قارنة يوم فقدهم)

بليلة الحناء تبدأ مراسم الاحتفال، الجزارون يجلبون العجول والخراف لذبحها ودماء الفرحة كالنوافير تملأ المكان .

يشاهد حميد المنظر، ويهيأ له أن أبا سلمى يسحلها دون رحمة يدخل بها حلبة الموت، ويرفع بيديه السكين وبلا تكبير يذبحها، فيصرخ حميد.. ويهرع إليها فيباغته أبوها بطعنة في رقبته فترديه إلى جوارها، وقد تزاوجت قطرات دمائهما العاشقة فيتمرغا وهما يتخضبان بدم العشق المهدور!
يفيق وقد ترك على جدران روحها: نظرته، دموعه، وشوقه، وحنينه، والوعد بأنه سيكون لها ما دامِ قلبه ينبض .
بكت روحي وحميد يبتعد،... لتصرخ الأرض تحت قدميه حزينة حتى أني صرخت لصراخها، لم أدر قوتها ومداها،... حتى رأيت أبي يأتي وقد استل بندقيته عندما رأى حميد وهو يرحل.
لطمني على وجهي حتى مادت الأرض تحتي لتحتضن جسدي، فيضع قدمه فوق صدري مصوبًا بندقيته إلى قلبي، يضغط بقدمه كأن جسدي جلمودًا وقد قارب قلبي أن يذوب ويسيل من بين ضلوعي.
- هدي آخر مرة نكلمك فيها، أصحك تجيبي سيرة حميد مرة أخرى.
رفع قدمه من فوق صدري لكنها استنسخت لنفسها نسخة جديدة تركها تلهو فوقي مؤلمة موجعه.
قبل أن يرفع فوهتها بثت البندقية في صدر سلمى سرًا: انصاعي لكلامه، فلا تعلمين ماذا أفعل بكِ لو فقد أبيك عقله وتقيأت بصدرك رصاصاتي؟
ما زالت فوهة البندقية مصوبة إلى صدري كلما تذكرته، وهو يدهس صدري العاشق.

تهرع سلمي بعدما قام أبوها بضربها إلى بيت عمها، لتلقي بصدر زينب بعض وجعها فيقل وجيب قلبها.
-سيدي، ريت؟ بوى كان حيقتلني.
- والله يا سلمى، موضوعك شين ، نا نعذره في اللي يديره معاكى.
- والله يا عمي ما درت شئ غلط.
- ولو يا سلمى، النجع كله يتكلم عنك وعن حميد، وهالكلام تطير فيه رقاب.
- والحل؟
- الحل عند الله، فكى روحك من هالموضوع يا بنتي خلينا نعيش بكرامتنا.
خرج عمي يستغفر الله، ويضرب كفا بكف ويدعو الله أن يزيح عنهم هذا الهم .
- بت يا سلمى.
- إيش تريدي إنتي لأخرى ؟
- فكي روحك من اللي قاله أبوي، سيبك منه ومن بوكي، دول بوادي متخلفين ما يعرفوش الغلا.
- ليش إنتِ تعرفيه ؟
- طبعا نا غاوية يا بت .
- هه.. من هو؟
- عادل.
عادل بن سعد، الله يخرب بيتك؟!
- ليش ؟ إيش فيه؟ .. راجل تقول إيش ، يرجع من مصر جايب لي قزازة كلونيا، وحمر شفايف.
- يومك أسود! وين تراعيه؟ وكيف تاخدين منه هالحاجات ووين؟!
- وش فيها نعدي له الدكان، يحطهم لي جوة كيس الحاجات اللي نشريها من عنده.
- أصحك يا بت ، أصحك يضحك عليكي .
- ما تخافيش على أختك، نا صاحيتله ما يقدرش يلعب معي.

- اللّٰه يستر عليكي، شكلك مش حتجيبيها لبر.
طرقات على باب البيت، تهرع زينب لفتحه.
- خشي يا خالتي، خير إن شا اللّٰه إيش فيكي؟
- وين نقاوة يا زينب؟وين أمك؟
- اقعدي هنا، والساعة تجيكي.
- مرحب يا سلمى، شخبارك وكيف أمك؟
- مرحبتين يا خالتي رتيبة ، كنك مريضة ؟
- أى واللّٰه يا سلمي، إنعنك ما تشوفي اللي نا فيه.
- مرحب يا رتيبة، إيش فيكي خير إن شالله؟
- إهلين يا نقاوة ، ظهري حيقتلني، لا قادرة نمشي ولا نوطي ولا نشيل حاجة من اللرض.
- ما تخافيش يا خايتي هو برد بالظهر حندير لك كاس هوا، وإن شاء اللّٰه تكونى طيبة .
- زينب
- نعم يُمي.
- حضري خلطة كاس الهوا (الكَسِرْ).
- حاضر يُمي .
(قطعة قماش بها بعض النخالة (الردة) والملح وطبق به زيت وجاز توضع وفوقها البرطمان فتقوم بسحب الدم الفاسد مصاحبا للوجع، أو تقوم بتشريط الجلد بشفرة حلاقة بمكان الوجع وتسحب الهواء من البرطمان بقطعة قماش مبللة بالكحول مشتعلة ثم توضع فوق مكان الوجع فتقوم البرطمان بالالتصاق بالجلد مخرجة الدم الفاسد)
- إن شاء اللّٰه يا رتيبة حتبري وتبقي إيش.
- يا رب يا نقاوة، سلم إيديكي يا خيتي ، إنعني ما نشتهيكي.
- خالتي نا حنرَّوح قبل ما يرجع أبوى ويتعارك معي.
- طيب يا سلمى .. صملي خالتك رتيبة لبيتها وإنت مروحة .

- حاضر دقيقة يا خالتي.
- تعالي يا سلمى شوفي إيش جابلي عادل؟
- لا مانريدش.
- تعالي بس ، شوفي صباع الحمر هدا، تعالي نحط لك.
- امشي الله يخرب بيتك لو أمك شافته إيش حتقولي لها.
- ما تخافيش نا مخبيته.
- والله يا زينب شكلك داخلة على مصيبة والله يستر.
- قلت لك ما تخافيش.
- لا نا خايفة ، تصدقي يا زينب نا ننسى همي نين نجي عندكم
.
- سلمى عرفتي أن حميد حنته اليوم.
تغرق سلمى في دموع وكأن عينيها مصبات لنهر الحزن وهو بحالة فيضان، يأخذ في وجهها كل ما يقابله من سعادة وأمل في حبها الذي يحتضر.
(بكيت نين غاب الوعى .. بعد أرياف لاقوني إقدم)
يهيم حميد على وجهه، يذهب إلى المكان الذي احتضن عشقهما، ينظر حوله يتعجب أين ذهبت ابتسامة المكان، لماذا يرى كل ما فيه عابسًا واجمًا؟ عصافير الحزن تغني لحن شجن وهى تحلق فوق رأسه، تتعانق الأغصان ولحاؤها يبكي، وحفيف كالنشيج والغيمات تسري في مواكب عزاء! الصحراء زاد جفافها، والطقس ينوح هجيره وهو يعانق هذا الجو المشحون بالفقد والبعد، ليتدلى من مشنقة العشق فيعفوا عنه الناس ويقدموه إلى مقصلة الزواج وهو يصرخ، فهو في الحالتين مقتول! يود لو ابتلعته الأرض وما عاش دون حبيبته.

يبحث عنه رفقاؤه يتذكرون المكان الذي يجد فيه نفسه، فيذهبوا إلى تلك الربوة العاشقة يجدوه مستلقيًا لا يشبه الأحياء إلا من صدره الذي ينتفض من وجع ألم به!
ينهض معهم بعدما أقنعوه بأن عدم زواجه سيسيء إلى حبيبته، ولن تجد من يتقدم للزواج بها، حرام أن يكون هذا جزاء حبها له.
ثم يأخذوه إلى بيت أحدهم، ليجهزوا عريسًا كل ما فيه ميت عدا قدمين ستأخذاه إلى فراش امرأة هو قبر من قماش كالكفن يُلحد به.
يجد نفسه بغرفته لكنه ليس وحيدًا، هناك من ستشاركه فراش عمره.
تجلس على استحياء... تنتظر منه أن يدنو منها، لكنه لم يحاول دك حائط الخجل الذي يحول بينهما فتركها وافترش الأرض ونام.
ظلت مستيقظة تبكي وعندما لم تجد بدًا بدلت ملابسها ونامت وقد فقدت فرحة عمرها.
تنظر إليه وهى تنام على وسادة من جمر تأكلها.
تحدثه في نفسها:
- إذن كل ما يقال عنك وعن سلمى حقيقي.. أنتما عاشقان! كيف آخذك منها وهى تمتلكك؟! بعدما سمعت بخبر عشقك لها قلت: الرجل الذي يعرف معنى العشق سيحبني مثلما يحبها وسأسعد بقلبك العاشق، لكنك لم تمنحني الفرصة لأنسيك حب من أطلقوا عليها جميلة النجع، تخيلت أنك ستفضلني عليها عندما أصبح زوجتك وملك يمينك، قلت: إنك رجل كباقي الرجال ستنسى قلبك أمام جسد تملكه سيحتوي شبابك، لكن ستبقى هى دومًا الشوكة التي توخز قدم حنيني إليك، لكن بغبائي امتلكت جسدًا بلا قلب، ماالذي فعلته بنفسي؟ لماذا وقفت أمام قطار عشقكما؟ تخيلتك ستقلني وتنسى عشقها لكن ها أنت تدهسني بمنتهى الشراسة!في الصباح سأعود إلى بيتنا، وأبي لن يصمت على ما حدث لي.

صابرين الصباغ

السيرة الهلالية

كما رواها شعراء البادية

جزء ١٢

د. خالد الزغيبي

مجلة هلنا

بعد أن تُوُفِّيَ جريحُ بني وهب، استقرَّ رأيُ بني هلال على إرسال وفدٍ يتكون من عشرين فارسًا إلى بني هيب لإخبارهم بأمر موت فارسهم والتفاوض معهم في هذا الشأن. ودار بينهم نقاشٌ فحواه: "إننا إن وصلنا إلى مضارب بني وهب فلا بأس، حيث إنه من شيم العرب إذا جاءهم القاتل معترفًا بذنبه يعفون عنه، أما إن وجدناهم جاهزين للحرب فلا طريق أمامنا سوى الاستعداد لهم". بالفعل، تحرك فرسان بني هلال صوب مضارب وهب، ولكنهم فوجئوا بأن بني وهب قد تحركوا فعلاً في اتجاه بني هلال، فقال قائلهم حين فاجأهم الأمر: "ما قدام الخيل لهيد". بقي للمواجهة تسعة فرسان، في حين ذهب بقية العشرين ممن أسرقت قلوبهم ليبلغوا قومهم أن بني وهب في الطريق إليهم. وكان ذياب ممن فكروا في العودة إلى المنازل لتجهيز القوم لملاقاة بني وهب، ولكن حدثته نفسه أن هذا السلوك والهروب من ملاقاة بني وهب تحت أي ذريعة سيكون ذلة تلحق به، وقال في نفسه: طالما أن الإنسان ميت ميت، فلا كانت المذلة. فعاد من فوره إلى رفاقه الصامدين، وكان من عادة ذياب ابن غانم ألا يدخل النزال في أوله، حيث كان يؤخر دخوله إلى العراك كي يعرف أولاً طبيعة خصمه وطريقته في النزال.

وحين عودته، توجه ذياب مباشرة إلى فارس وهب، وهو وهب ذاته أخو القتيل. وكان معروفًا لدى بني هلال أن وهب هو عنصر القوة عند بني وهب، وأن كسره يعني كسرة الفريق كله. وحين التقى ذياب بوهب، دفع وهب ذياب دفعة قوية أوقعته من فوق فرسه، فأخذ وهب فرس ذياب. وحين رأى سرور بن فايد ذلك، سارع إلى وهب فضربه ضربة قوية أربكته، فأخذ سرور فرس ذياب من وهب وأعادها له.

أخذ ذياب فرسه واستعد لدخول النزال، وكاد أن يفعل، فرأى فرسان بني هلال وقد ظهر موكبهم في الأفق في طريقهم لنجدة ذياب ومن معه. ولكن المعركة كانت قد انتهت بابتعاد الفريقين عن ساحة النزال.

وحين عاد بني هلال إلى قومهم بعد انتهاء معركتهم مع بني وهب، سألوا ذياب عما حدث، فقال:

نشهد بالله انهن تسعة نزلن وعكفن .. واحداش عدن في سود الهمايل

ميلتين تجبدني وميلة جبدتها .. لاوين ما قدام الخيل جابد

جاني صاحب قديم وصادني .. قال لو عشت مية عام ترد اللحايد

سميت باسم الله وقعدت راسها .. وجت الداعي في سود الهمايل

جا صدافي وهب ضربته وضربني .. وجيت مع خرمة الشرز مايل

طحت كما العرجون من بين خيلهم .. ولاوين مني قاصرات القلايد

بهتت للشهبة نريد ركابها .. لاوين جالبها سرور بن فايد

سرور بن فايد وان الرخى يسقط بسبحته .. وان صار البلا يجبد غليظ القلايد

ثم سألوا ذياب عن حال أبو زيد في هذه المعركة، فأجابهم :

اولاد هلال قريه وبوزيد سدها .. بارك كما السبع في سهول الهمايل

ميتين هجلهن وميتين قزنهن .. وميتين راحوا من حسه طرايد

ثم سأوا ذياب عن الزيدان قال لهم :

زيدان يا رفاقه لا تذكرونه .. عليه تهدوا منكرين الحسايد

متغطي بخمار شهل عيونه .. يهدا السرايا عالسرايا بجايد

تمسمع زقي الشبان من راس حربته .. غرانيق طاحن في بحوراً بعايد

استمر مكوث بني هلال في برقة في كنف الخفاجي عامر قرابة الثلاثة أشهر،

مما قاله بني هلال في ذلك قولهم :

ماعونا مالغل ياخذ ويبه .. عامر خذا ماعونا وملاه

وقعدنا مع عامر ثلاثة شهور .. ما بكى عندنا عيل وما لهاه

ما عندنا مالا يكافي عامر .. عامر علي الرب الكريم كفاه

وحين قرر بني هلال مواصلة زحفهم إلى تونس أعلن الخفاجي عامر نيته مرافقتهم إلى تونس، وحين علم أبو عامر بذلك قال له :

خليتني يا ولدي عند مكبري .. حتى ظهري نين صارلي فيه صايب

خليتني كيف العزوز بلا ولد .. يكرهنها جارتها والقرايب

خذنك بنات هلال سود عيونهن .. كما حب زيتون في وان طايب

وتحرك بني هلال صوب تونس وفي رفتهم الخفاجي عامر.

وكان بنو هلال يُخَيِّمون بعد أن يقطعوا المسافات في الأماكن الأكثر أمانًا عليهم. وذات مسير، تحدث مناع وذياب، فقال مناع لذياب: نحن مقبلون على حرب، ودعنا ندرب خيلنا على خوضها.

فطلب منه أن يفعلا ذلك هما الاثنان في حضرة القبيلة لكي يسمعوا زغاريد بني هلال حين ينزع أحدهم عمامة الآخر بحربته. فرد عليه ذياب رافضًا، وقال لمناع: يا رجل، أنا حربتي مدعوٌّ عليها، فما أن أخرجها حتى تتحنى بالدماء، وأنه لا داعي لذلك. فأجابه مناع: ما يحدث شيء سوى بأمر الله.

أثار هذا النقاش بني هلال، وأكدوا على ضرورة التسابق بين ذياب ومناع، وصاروا يهللون بذلك. لم يجد ذياب بدًّا من تنفيذ رغبة مناع وبني هلال في ذلك. فركب ذياب فرسه وانطلق بها أولًا، ثم تبعه مناع، وحين اقترب منه انتزع عمامة ذياب من فوق رأسه برأس رمحه. وفي الجولة الثانية، انطلق مناع بحصانه، فتبعه ذياب، وحين مد إليه حربته لنزع عمامته، وقع مناع من فوق فرسه من شدة الضربة، فتغشاه الموت، وأدرك هو وقومه أنه هالك لا محالة. ومخافةً منه أن يرتب موته نزاعًا بين بني هلال، طلب مناع أخويه بدر وعلياء، وحين حضرا قال لهما:

بالله يابدر بعد تدفنني ما تشهر مشاهري.. راه شهر المشاهر ما جاب من كان غايب

وصي عليا لا تشهر بالبكا .. راه تنوض على المردان نار اللهايب

والمردان تلقى مردان ضدها .. وتخلف عداوة ما بين القرايب

راه ذياب ينفعكم ونا انضركم .. وهذا عزا من راح تحت الترايب

د.خالد الزغيبي



مجلة هلنا

الثروة المنسية في الصحراء المصرية - الليبية

أ.د
حسن شعبان

وبعضُ أنواعِ الصبَّارِ لهُ جذورٌ عميقةٌ لتصلَ إلى المياهِ الجوفيةِ، والبعضُ الآخرُ لهُ جذورٌ تنمو بسرعةٍ فائقةٍ وتمتدُّ أفقيًا لمسافاتٍ شاسعةٍ عندَ هطولِ الأمطارِ لتجميعِ المياهِ. ويوجدُ نوعٌ من الصبَّارِ العملاقِ يستطيعُ امتصاصَ 3000 لترٍ من المياهِ في عشرةِ أيامٍ.

وإنتاجُ نباتِ الصبَّارِ بكمياتٍ كبيرةٍ عن طريقِ زراعةٍ واسعةٍ لهُ ليتمَّ استخدامها لاحقًا في الصناعاتِ التجميليةِ تتمُّ في دولٍ مثلَ أستراليا، وبنغلاديش، وكوبا، وجمهوريةِ الدومينيكان، والصين، والمكسيك، والهند، وكينيا، وتنزانيا، وجنوبِ أفريقيا، والولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ كذلك.

الدلالاتُ العلميةُ عن فعاليةِ نبتةِ الصبَّارِ كمادةٍ تجميليةٍ أو علاجيةٍ محدودةٌ وأغلبُها متناقضةٌ، مع ذلك فإنَّ الشركاتِ المصنعةَ تدعي استخدامَها كمادةٍ مرطبةٍ ومعالجةٍ. كما ظهرتْ بعضُ الدراساتِ المبدئيةِ أنَّ أخذَ الصبَّارِ بشكلٍ فمويٍّ (بالفم) من الممكنِ أن يكونَ فعالًا في خفضِ سكرِ الدمِ لدى مرضى السكري، كما قد يسهمُ في خفضِ مستوى الدهنياتِ في حالةِ ارتفاعِها. وهذه أيضًا تحتاجُ إلى أبحاثٍ طبيةٍ أكاديميةٍ جادةٍ.

فمثلًا الاستخدامُ الموضعيُّ للصبَّارِ لم يثبتْ فعاليتهُ في الحمايةِ من الضررِ الإشعاعيِّ (أشعةِ الشمس) ونحتاجُ إلى المزيدِ من التجاربِ والدراساتِ والمعلوماتِ حتى نؤكدَ فعاليةَ هذهِ النبتةِ بشكلٍ دقيقٍ.

فإحدى البحوثِ وجدتْ أنَّ نباتَ الصبَّارِ لم يثبتْ فعاليتهُ في توفيرِ حمايةٍ للبشرةِ ضدَّ حروقِ الشمسِ، كما أنَّ بعضَ الجرعاتِ قد تكونُ سامةً سواءٌ طُبِّقتْ موضعيًا أو أُخذتْ فمويًا.



وعصيرُ نبتةِ الصبَّارِ تمَّ تسويقُهُ كمدعمٍ لصحةِ الجهازِ الهضميِّ لكن لا وجودَ لدليلٍ علميٍّ أو حتى قبولٍ تنظيميٍّ لدعمِ هذا الاستخدامِ، المستخلصُ والكميةُ التي تُستخدمُ لهذا الغرضِ أظهرتْ أنَّ سميتَها قد تعتمدُ على الجرعةِ المأخوذةِ.

الصبَّارُ من القطاعاتِ التي لا تحتاجُ إلى استثماراتٍ عاليةٍ، فهو اقتصاديٌّ لا يحتاجُ إلى أسمدةٍ أو ماءٍ أو رعايةٍ ولا يمثلُ مصدرَ غذاءٍ للحيواناتِ. لذلك يتمُّ استخدامُهُ للحصولِ على عائدٍ اقتصاديٍّ كبيرٍ دونَ أيِّ تكلفةٍ عاليةٍ.

وقد أعلنَ بعضُ العلماءِ أنَّ نحوَ ثلثِ نباتاتِ الصبَّارِ في العالمِ تواجهُ خطرَ الاندثارِ، فالنتائجُ التي توصلَ إليها فريقٌ دوليٌّ من الباحثينَ أنَّ 31% من 1478 نوعًا من الصبَّارِ جرى تقييمُها على شفا الاندثارِ، وهي نسبةٌ مرتفعةٌ إذا قورنتْ بالنسبةِ المقابلةِ لانقراضِ الثديياتِ البالغةِ 25% أو 12% للطيورِ. ويتراوحُ طولُ نباتِ الصبَّارِ من سنتيمترٍ واحدٍ إلى 19 مترًا، ويُقتنى لألوانِ زهورِهِ البديعةِ، فيما تحظرُ معاهدةٌ دوليةٌ الاتجارَ في أنواعٍ معينةٍ من هذا النباتِ.

وفي بعضِ بلدانِ العالمِ توجدُ الفاكهةُ كثمرةٍ من الصبَّارِ، مثلَ التينِ الشوكيِّ في مصرَ، و"الدراجون فروت" في جنوبِ شرقِ آسيا، والذي يوجدُ في مصرَ أيضًا ولكنْ تكلفتُهُ باهظةٌ. وأيضًا هناكَ أغلى كتانٍ يُستخرجُ من أحدِ أنواعِ الصبَّارِ وهو موجودٌ في مصرَ ولكنهُ يُستعملُ كنباتِ زينةٍ ويُطلقُ عليهِ "أجاف سيسليانا".



وألا أنسى أن أذكرَ القائمةَ الحمراءَ للاتحادِ الدوليِّ لحفظِ الطبيعةِ لعامِ 2015 التي أكدتْ أنَّ 31% من أنواعِ الصبَّارِ مهددةٌ بالانقراضِ ويكادُ يكونُ شراءُ بعضِ المنتجاتِ النادرةِ من الصبَّارِ بشكلٍ قانونيٍّ أمرًا محالًا، وهو ما أدى إلى ظهورِ بعضِ الأعمالِ التجاريةِ غيرِ المألوفةِ مثلَ تهريبِ بعضِ أنواعِ الصبَّارِ النادرةِ.

ونحنُ هنا في كلٍّ من مصرَ وليبيا حيثُ أنَّ أكثرَ من 95% من مساحةِ دولتينا صحراءٌ شاسعةٌ يجبُ علينا الاهتمامُ بمثلِ هذا النباتِ الصحراويِّ الذي يمكنُ أن يمثلَ نشاطًا اقتصاديًا وعلميًا عظيمًا، فنحنُ نحتاجُ إلى أبحاثٍ في عديدٍ من المجالاتِ الطبيةِ، والغذائيةِ، والزراعيةِ، والصحيةِ، ونكونُ مركزًا دوليًا لأبحاثِ "الصبَّار"، ولا ننسى أنَّ لدينا الخلفيةَ العلميةَ العظيمةَ التي يمكنُ أن تؤديَ مثلَ هذهِ الأبحاثِ فمركزُ بحوثِ الصحراءِ (Desert Research Center, DRC)، حيثُ يعملُ المركزُ بشكلٍ أساسيٍّ على تنميةِ المجتمعاتِ المحليةِ في الصحراءِ، ومساعدتِها من خلالِ توفيرِ سبلِ التنميةِ المستدامةِ لتلكَ المجتمعاتِ وتحسينِ معيشتِها، وضمانةِ استمرارِها في بيئتِها والحفاظِ على نمطِ حياتِها الفريدِ والمتنوعِ الذي يساهمُ بشكلٍ رئيسيٍّ في الحفاظِ على التنوعِ البيولوجيِّ في تلكَ المناطقِ.

ومركزُ بحوثِ الصحراءِ هو من أقدمِ مراكزِ البحوثِ في مصرَ حيثُ افتتحَ رسميًا في 30 ديسمبرَ 1950م تحتَ اسمِ معهدِ فؤادِ الأولِ للصحراءِ حتى صدرَ القرارُ الجمهوريُّ رقم 90 لسنةِ 1990م بإنشاءِ مركزِ بحوثِ الصحراءِ. والذي يهدفُ بصفةٍ عامةٍ إلى استكشافِ المواردِ الطبيعيةِ في الصحارى المصريةِ. ويرأسُ المركزَ حاليًا أحدُ العلماءِ الأجلاءِ الأستاذُ الدكتورُ/ حسام أحمد شوقي.

ويتفردُ مركزُ بحوثِ الصحراءِ بوجودِ مركزينِ نادرينِ في تخصصِهما وقدراتِهما على المستوى الوطنيِّ والإقليميِّ وهما مركزُ التميزِ المصريِّ لأبحاثِ تحليةِ المياهِ، ومركزُ التميزِ المصريِّ للزراعاتِ الملحيةِ. كما يصدرُ المركزُ مجلةً علميةً تحتَ اسمِ "المجلةِ المصريةِ لأبحاثِ الصحراءِ (EJDR)" وهي مجلةٌ دوليةٌ محكّمةٌ وتنشرُ سنويًا في مجلدٍ واحدٍ من عددينِ. تحتوي على بحوثٍ في مجالِ علومِ الصحراءِ والتي تندرجُ في نطاقِ البيئةِ والمواردِ الطبيعيةِ بالطبع، إليك النص مضبوطًا ومشكلًا:

والمياهِ والتربةِ والنباتاتِ والحيواناتِ والمواردِ البشريةِ بالإضافةِ إلى الجوانبِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ لتنميةِ الصحراءِ.

ونذكرُ أيضًا جامعةَ مطروحَ التي يرأسُها عالمٌ جليلٌ هو أ.د. مصطفى يوسف النجار، وتختصُّ إحدى كلياتِها بدراسةِ الزراعاتِ الصحراويةِ وهي "كليةُ الزراعةِ الصحراويةِ والبيئيةِ".

ولا ننسى فرعَ العلمينِ للأكاديميةِ العربيةِ للعلومِ والتكنولوجيا والنقلِ البحري، وبها كليتا طبٍّ وصيدلةٍ يمكن أن يشاركا في أبحاثِ الاستخداماتِ الطبيةِ للصبارِ.

أ.د حسن شعبان


ليلة مع الإبل
عبد الله أبو زوير
مجلة هلنا
قصة قصيرة

مَا أَنْ اِبْتَلَعَتِ الْأُصْلَةُ الْقُرْصَ النُّحَاسِيَّ وَجَاءَتِ الْعَتْمَةُ حَتَّى بَدَتْ أَصْوَاتُ اللَّيْلِ فِي التَّحَوُّلِ إِلَى أَصْوَاتٍ عِدَائِيَّةٍ وَمُثِيرَةٍ لِلرَّهْبَةِ الَّتِي تَزْدَادُ كُلَّمَا تَوَغَّلَ اللَّيْلُ فِي جَوْفِهِ أَكْثَرَ. وَتَوَقَّفَ بِنْدُولُ السَّاعَةِ الَّذِي كَانَ يَتَقَافَزُ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ كَقِرْدٍ وَكَأَنَّ التَّعَبَ وَالْإِعْيَاءَ قَدْ أَصَابَهُ بِسَبَبِ تِلْكَ الْهَرْوَلَةِ، وَحَمَلَتِ الرِّيَاحُ إِلَى مَسَامِعِي مَا كُنْتُ أَخْشَاهُ وَأَخَافُهُ، يَبْدُو أَنَّ أَحَدَ جَوَاسِيسِ الْجَانِّ فِي طَرِيقِهِ إِلَيَّ، أَرْهَفْتُ السَّمْعَ وَتَأَكَّدْتُ أَنَّهَا لِخُطُوَاتٍ تَقْتَرِبُ وَتَدَحْرَجُ فُتَاتَ الصُّخُورِ أَمَامَهَا، حَدَّقْتُ فِي الظَّلَامِ أَبْحَثُ عَنْ خَرْجِي دُونَ فَائِدَةٍ، وَتَشَكَّكْتُ فِي سِرِّ اخْتِفَائِهِ، اِهْتَزَّ جَسَدِي مَعَ عُوَاءِ وَتَعَالَتْ أَصْوَاتُ صَفِيرِ صَرَاصِيرِ اللَّيْلِ وَكَأَنَّهَا تُنَبِّهُ الذِّئَابَ بِوُجُودِي هُنَا وَسَرَتْ جُيُوشُ نَمْلٍ فِي بَدَنِي مِنْ أَخْمَصِ قَدَمِي إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى رَأْسِي وَانْتَصَبَ شَعْرِي إِلَى أَعْلَى وَتَمَلَّكَتْنِي حُمَّى جَعَلَتْ أَسْنَانِي تَصْطَكُّ بِبَعْضِهَا، حَاوَلْتُ تَبْدِيدَ الْخَوْفِ

بِالْغَضَبِ لَكِنَّ صَوْتَ فَحِيحٍ أَعَادَنِي إِلَى الرُّعْبِ مَرَّةً أُخْرَى لِتَزْدَادَ الْمُعَانَاةُ وَيَزْدَادَ الْفَزَعُ، وَالرِّيَاحُ اِنْقَلَبَتْ وَبَدَتْ هِيَ الْأُخْرَى تَعْوِي أَيْضًا، شَعَرْتُ بِأَنَّ سَاقِي لَمْ تَعُدْ قَادِرَةً عَلَى حَمْلِي وَكُلُّ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ نَعْرِفُهُمْ وَالَّذِينَ لَا نَعْرِفُهُمْ تَتَقَدَّمُ نَحْوِي، لَيْلَتِي لَيْلَاءُ، أَمْسِ كُنْتُ أَحْلُمُ بِمُسْتَقْبَلٍ جَيِّدٍ وَخَطَّطْتُ فَوْقَ الرِّمَالِ بِعُودِ حَطَبٍ يَابِسٍ لِمُتَوَالِيَةٍ حِسَابِيَّةٍ لِعَدَدِ مَوَالِيدِ الْإِبِلِ وَوَصَلْتُ بَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ إِلَى أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُ وَحَلُمْتُ بِأَنْ أَكُونَ نُعْمَانَ الْعَصْرِ. تَسَاءَلْتُ رَغْمَ الْخَوْفِ الَّذِي لَمْ يُفَارِقْنِي حَتَّى وَسَطَ أَضْوَاءِ الْمَدِينَةِ. مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَوْفَيْنِ. مَادَامَ الْأَعْدَاءُ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْقَتْلُ لَيْسَ لَهُ مَعْنًى سِوَى الْقَتْلِ وَالذِّئَابُ هِيَ الذِّئَابُ وَالسُّمُّ هُنَا وَهُنَاكَ. وَدَوَرَانُ الْيَوْمِ وَتَعَاقُبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَيَّامٌ تَمْضِي لَكِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَشْرُقْ بَعْدُ.

عبد الله بو زوير

معركة يوم القارة

قراءة في قصيدة

مجلة هلنا



قدورة العجلي

جزء ٢

سوقك اللي معلوم يا
خوّاره**
اللي بيننا تشْهدْ عليه
القارة**
سوق يبكّي - والذلاّل ما
يقدر عليه يتكّي-
وانتي بينتّا تزحفى وتركِّي
- وعليك التوامج ضاربات
الحارة**
سوق و رُسُّمْ -
سوقاً يفكْ المال وقت إن
قُسَّمْ-
وهى كبرت من توقت
الفجر وبسَّمْ -
ساعه علي ساعه تلهلب
ناره **
سوق اللي معلوم يا
السخيَّه -
م الصبح للمغرب تقول
قليَّه -
وردّو زعالا مطيَّبين التِّيَّه -
من ضرباً يشكّكْ قايسين
مراره**

سوقك اللّي معلوم يا
حنّانه -
أسيادك نصرهم ربنا
سبحانه -
ساطيين ع الفركه وع
الذبّانه -
ورازيين من ساطي علي
منظاره **
- سوق ولمّه -
سوقاً يفكْ المال حامي
سمّه -
ما من اللّي منّكْ نخطْ
في دمّه -
حادر زواعب يفْجعكْ
تياره **
- يوم يخوّفْ -
م الصبح للمغرب تريس
مطوّف -
واسيادك اللي لمْسوه
ناض يسوّفْ -
كما عايفه دردي نزيح
ابياره **

يا مرعوبه -
سوقك يلهلب كيف وهر
الذوبه -
وعندك عيالاً يحدرو جلبوبه
-
متحالفين ما يمشو لها
بحواره **
سوقنً يزْبَي -
دخّانه كما غيم السحاب
الغزْبيْ -
طاح فيه زقْ وطاح ضرب
الحربي -
وفرط الكزالك والجّعب جا
طاره **
يا وذْاده -
خاشّات سوقك حاتمات
فساده -
ميْه وخمسطاشر حاصيات
اعداده -
غير الجريح اللّي عطيب نهاره
**
ابلنا جبناها -
وما شطّنا من مات في
سباها -
ستيّن دقن اللي رقود حذاها
-
باتوا عشا للصيد ماي كفّاره
**

يا المهينه -
متحالفين ما ترْدِي
على جردينه -
اسيادك اللّي ناشوه
طاح جرينه -
ما عاد يطري لك ولا
خبّاره **
يا ام حويرّ -
اللي بيننا تم الكلام
قصيرّ -
منّا رخيص الرُّوح تم
يديرّ -
ومنّا طويل العمر
جاب افخاره **
يا ام شعافي -
بيناتنا ثوبّ رقيق
السّافي -
واسيادك اللّي لفْسوه
حدرّ هافي -
كما ساقط العرجون
تاو اثماره **

الهوامش ومعاني مفردات قصيدة سوقك اللي معلوم:

سوقك: يَقْصِدُ يَوْمَ الحَرْبِ وَكَأَنَّهُ سُوقٌ تُبَاعُ فِيهِ الأَنْفُسُ لِلْمَوْتِ.

الخَوَّارَةُ: مِنْ أَسْمَاءِ الإِبِلِ وَأَصْلُهَا مِنْ خَارَتْ قُوَاهَا نَتِيجَةَ الإِجْهَادِ أَوِ الجَدْبِ وَقِلَّةِ المَرْعَى فَهِيَ صِفَةٌ تَحَوَّلَتْ إِلَى اسْمٍ.

القَارَةُ: قَارَةُ أُمِّ الصَّغِيرِ وَاحَةٌ صَغِيرَةٌ جَنُوبَ مَطْرُوحَ 255كُم وَإِلَى الشَّرْقِ مِنْ وَاحَةِ سِيْوَةَ بِحَوَالِي 150كُم.

الذَّلَّالُ: الذَّلِيلُ المُهَانُ وَتُطْلَقُ عَلَى الجَبَانِ. **يَتَكِّي:** أَي يَمِيلُ عَنْ نَاحِيَةِ النِّزَالِ وَالمَعْرَكَةِ.

تَزَحْفِي: الإِشَارَةُ إِلَى الإِبِلِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ فَهِيَ تَزْحَفُ مُقَيَّدَةً وَالرَّصَاصُ يَتَسَاقَطُ حَوْلَهَا.

تُرَكِّي: أَي تَغُوصُ بِأَجْسَامِهَا فِي الرِّمَالِ النَّاعِمَةِ وَهِيَ مُعَقَّلَةٌ وَمُقَيَّدَةٌ. وَحَذَاكَ: أَي بِجَانِبِكَ. **التَّوَامِجُ:** جَمْعُ تَامِجَةٍ وَهِيَ خَنَادِقُ أَوْ حُفَرٌ يَتَمَتَّرسُ فِيهَا المُقَاتِلُونَ.

الحَارَةُ: المَقْصُودُ هُنَا الدَّائِرَةُ حَيْثُ تُحَاصِرُهَا تَوَامِجُ المُقَاتِلِينَ كَالدَّائِرَةِ حَوْلَهَا.

سُوقٌ وَرُسِّمَ: أَي وَقَدِ ارْتَسَمَ بِجِوَارِكَ مَكَانُ سُوقِ بَيْعِ الأَنْفُسِ وَشِرَائِهَا يَقْصِدُ المَعْرَكَةَ. وَهُوَ سُوقٌ أُقِيمَ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ الإِبِلِ وَالدِّفَاعِ عَنْهَا وَحِمَايَتِهَا وَالتَّضْحِيَةِ دُونَهَا بَعْدَ أَنْ كَادَ أَنْ يَقْتَسِمَهَا اللُّصُوصُ بَيْنَهُمْ.

وَهِيَ كُبْرَتْ: وَيَقْصِدُ النَّارَ أَي وَقَدِ اشْتَعَلَتْ نِيرَانُ القِتَالِ. مِنْ تَوْقَةِ الفَجْرِ وَبَسَّمْ: أَي مِنْ لَحْظَةِ ظُهُورِ الفَجْرِ وَابْتِسَامَتِهِ فِي أَوَّلِ ضَوْءٍ ثُمَّ تَوَاصَلَ طُولَ النَّهَارِ وَتَسْتَعِرُ نَارُهُ بَيْنَ كُلِّ سَاعَةٍ وَأُخْرَى.

السَّخِيَّةُ: مِنَ السَّخَاءِ وَهِيَ صِفَةٌ لِلإِبِلِ حَيْثُ تَجُودُ بِأَلْبَانِهَا وَلُحُومِهَا، وَمَا تَجْلِبُهُ فِي قَوَافِلِهَا مِنْ أَمْتِعَةٍ، ثُمَّ صَارَتْ صِفَةُ السَّخَاءِ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ النَّاقَةِ فَيُقَالُ: السَّخِيَّةُ، وَلِلإِبِلِ عُمُومًا فَيُقَالُ: بِنْتُ السَّخِيَّةِ.

تَقُولُ قَلِيَّةٌ: أَي وَكَأَنَّ مَقْذُوفَاتِ الرَّصَاصِ المُتَنَاثِرَةِ هُنَا وَهُنَاكَ، وَفَرْقَعَةَ أَصْوَاتِهَا مِثْلَ قَلْيِ القَمْحِ أَوِ الذُّرَةِ الفُشَارِ فِي الزَّيْتِ أَوْ مَا شَابَهَ،

فَهُوَ وَصْفٌ لِأَصْوَاتِ الرَّصَاصِ المُتَنَاثِرِ الَّذِي يُطْلِقُهُ الفَرِيقَانِ المُتَقَاتِلَانِ, يَقُولُ: وَقَدِ اسْتَمَرَّ ذَلِكَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى المَسَاءِ.
وَرَدُّوا زَعَالَا: أَيْ وَقَدْ عَادَ اللُّصُوصُ زَعَالَا مِنَ الزَّعَلِ أَيْ غَاضِبِينَ بَعْدَ أَنْ بَاءَتْ مُحَاوَلَتُهُمْ فِي نَهْبِ الإِبِلِ بِالخَيْبَةِ, وَأَنَّهُمْ مَعَ اسْتِعْدَادِهِمِ القِتَالِيِّ القَوِيِّ وَلَكِنَّهُمْ جُوبِهُوا بِضَرْبٍ **يَشُكِّكْ:** أَيْ بِرَصَاصٍ أَقْوَى وَضَرْبٍ مُحْكَمٍ يَشُكُّ الصُّدُورَ وَالدُّرُوعَ فَيَنْفُذُ مِنْهَا.
قَايِسِينَ مَرَارَةَ: أَيْ وَقَدْ ذَاقَ اللُّصُوصُ مَرَارَةَ الأَلَمِ وَالخَيْبَةِ وَالخُسْرَانِ.
الحَنَّانَةُ: هِيَ النَّاقَةُ وَالحَنِينُ صَوْتٌ لَهَا وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الإِبِلِ وَقَدْ تَحَوَّلَ عِنْدَهُمْ إِلَى اسْمٍ لَهَا.
سَاطِيِين: أَيْ أَنَّ أَهْلَهَا أُسْطَوَاتٌ خُبَرَاءُ فِي الصَّنْعَةِ. **الفِرْكَةُ:** أَيْ تَجْهِيزُ وَتَعْبِئَةُ البَارُودِ.
الذَّبَّانَةُ: النِّيشَانُ وَالمِنْظَارُ وَيَقْصِدُ هُنَا عَمَلِيَّةَ التَّنْشِينِ بِالبَنَادِقِ فَتُصِيبُ أَهْدَافَهَا بِدِقَّةٍ.
وَرَازِيِين: مِنَ الرَّزِيَّةِ وَهِيَ المُصِيبَةُ، أَيْ أَنَّهُمْ قَدْ نَالُوا مِنَ اللُّصُوصِ وَكَبَّدُوهُمْ الخَسَائِرَ وَأَصَابُوهُمْ بِالرَّزَايَا وَالوَيْلَاتِ، حَتَّى أَنَّهُمْ أَصَابُوا وَأَدْهَشُوا ذَلِكَ اللِّصَّ المُحْتَرِفَ، الَّذِي هُوَ سَاطِي عَلَى مَنْظَارِهِ: أَيْ الأُسْطَى الخَبِيرُ المُتَمَكِّنُ المَاهِرُ فِي اسْتِعْمَالِ السِّلَاحِ وَمَنْظَارِهِ: نِيشَانُهُ وَيَقْصِدُ أَنَّهُ دَقِيقُ النِّيشَانِ فِي إِصَابَةِ الهَدَفِ.
سُوقٌ وَلَمَّهُ: أَيْ وَقَدْ تَجَمَّعَتْ وَالْتَمَّتِ النَّاسُ فِي هَذَا اليَوْمِ لِفَكِّ أَسْرِ الإِبِلِ، وَكَانَ يَوْمًا حَامِيًا سَاخِنًا مِنْ حَرَارَةِ الحَدَثِ، وَالغَرَضُ هُوَ حِمَايَةُ المَالِ وَهُوَ الإِبِلُ، وَكَانَ يَوْمًا شَدِيدًا تَجَرَّعَ فِيهِ اللُّصُوصُ السُّمَّ، بَلْ وَأَهْلُ الإِبِلِ أَيْضًا فَقَدْ فَقَدُوا بَعْضَ رِجَالِهِمْ.
نَخْطْ: صَوْتُ الشَّهِيقِ مَعَ وُجُودِ الدَّمِ.
حَادِرْ: أَيْ مُنْحَدِرٌ مَعَ جَسَدِهِ. **زَوَاعِب:** أَيْ يَسِيلُ الدَّمُ فِي خُطُوطٍ كَمَا تَسِيلُ الدُّمُوعُ.
يُفْجِعُكَ: أَيْ يُرْعِبُكَ وَالفَجْعُ هُوَ الخَوْفُ وَالهَلَعُ، وَالفَجِيعَةُ المُصِيبَةُ، وَتَيَّار: يَقْصِدُ تَيَّارَ سُيُولِ الدَّمِ لِكَثْرَةِ القَتْلَى وَالجَرْحَى.

يَوْمٌ يُخَوِّفُ: أَي أَنَّهُ يَوْمٌ مُرعِبٌ يُجْلِبُ الخَوْفَ، وَأَنَّ رِجَالَكَ أَي أَهْلَكَ أَيَّتُهَا الإِبِلُ، كَانُوا قَدْ تَجَمَّعُوا مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى المَغْرِبِ، **تَرِيسٌ مُطَوِّفٌ:** أَي صُفوفًا مُتَرَاصَّةً مُمَتَّرِسَةً فِي مَوَاقِعِهَا لا تَتَزَحْزَحُ قِيدَ أُنْمُلَةٍ.

وَأَنَّ أَسْيَادَكِ: أَي أَهْلَكِ وَأَصْحَابَكِ. **اللِّي لَمَسُوهُ:** أَي أَصَابُوهُ. وَالْتَمَسَهُ الرَّصَاصُ فَأَصَابَهُ فَصَارَ يَسُوِّفُ أَي يَشُمِّخُ بِأَنْفِهِ مِنْ تَأْثِيرِ الإِصَابَةِ جَلْبًا لِلتَّنَفُّسِ وَاسْتِنْشَاقِ الهَوَاءِ، وَأَصْلُهَا أَنَّهُ يَسُوِّفُ مُتَكَبِّرًا، وَلَكِنْ هُنَا اسْتَعَارَهَا لِلتَّشْبِيهِ فَهُوَ يَشُمِّخُ بِأَنْفِهِ بَعْدَ إِصَابَتِهِ، فَصَارَ مِثْلَ النَّاقَةِ الَّتِي تَمُدُّ أَنْفَهَا فِي حَوْضِ السِّقَاءِ فَتَجِدُ طَعْمَهُ الدَّرْدِيَّ العَفِنَ فَتَعَافُهُ، وَهِيَ **عَائِفَةٌ:** مِنْ تَعَافُ الشَّيْءَ تَكْرَهُهُ.

دَرْدِي: أَي المَاءُ الضَّحْلُ. **نَزَاح:** مِنْ نَزَحَتْ أَي نَضَبَتْ مَاءُ البِئْرِ أَوْ كَادَتْ.

يَا **مَرْعُوبَةُ:** يَقْصِدُ الإِبِلَ وَهِيَ خَائِفَةٌ مِنْ تَنَاثُرِ الرَّصَاصِ حَوْلَهَا، إِنَّ سُوقَكِ كَانَ مُلْتَهِبًا يَوْمَهَا، فَهُوَ **يُوهُور:** أَي يَتَّقِدُ كِنَايَةً عَنْ شِدَّةِ الاحْتِرَاقِ وَكَأَنَّهُ مِثْلُ السَّمْنِ أَوِ الذُّوبَةِ أَي الزُّبْدِ المَغْلِيِّ فِي النَّارِ وَالنَّاسُ تَتَسَاقَطُ فِيهِ. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ لَدَيْكِ **عِيَالًا:** أَي أَوْلَادًا فُرْسَانًا أَشِدَّاءَ. **يَحْدَرُوا:** أَي يَنْحَدِرُونَ وَيُلْقُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فِي أَتُونِ النَّارِ دِفَاعًا عَنْكِ دُونَ تَرَدُّدٍ فَهُمْ يَنْطَلِقُونَ **جَلْبُوبَةً:** أَي جَمَاعَةً، وَقَدْ أَقْسَمُوا بِأَغْلَظِ إِيمَانِهِمْ أَنْ لا يَظْفَرَ اللُّصُوصُ وَلَوْ بِحُوَارَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ صَغِيرَةُ النَّاقَةِ.

سُوقًا يُرْبِي: لَقَدْ كَانَ سُوقُ الإِبِلِ يَوْمَهَا وَكَأَنَّهُ سُوقُ الرِّبَا الَّذِي تَشْتَرِي فِيهِ بِالرَّخِيصِ وَهُوَ الإِبِلُ، وَتَبِيعُ فِيهِ بِالثَّمَنِ البَاهِظِ وَهُوَ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ. وَلَقَدْ كَانَ لِهَذَا اليَوْمِ دُخَانًا وَغُبَارًا مُرْتَفِعًا وَكَأَنَّهُ غَيْمٌ شَدِيدُ السَّوَادِ مِنَ الرِّيحِ الغَرْبِيِّ فَيَنْتُجُ عَنْهُ مَطَرٌ شَدِيدٌ مَعَ سُرْعَةِ الرِّيَاحِ الَّتِي تَأْخُذُكَ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ، وَيَصْعُبُ التَّمَاسُكُ أَمَامَ شِدَّتِهَا.

وَقَدْ طَاحَ: وَوَقَعَ فِي هَذَا اليَوْمِ الزَّقُّ أَيِ الصِّيَاحُ وَالصُّرَاخُ. **وَضَرْبُ الحَرْبِيِّ:** أَيْ مُوَاجَهَةٌ بِالسِّلَاحِ الحَرْبِيِّ الَّذِي تَسْتَعْمِلُهُ الجُيُوشُ فِي مَيَادِينِ الحُرُوبِ.

وَفَرَطَ: أَيْ تَنَاثَرَ. **الكَزَالِكُ:** جَمْعُ كَازْلَكْ أَوْ قَازْلُوكْ وَهِيَ كَلِمَةٌ تُرْكِيَّةٌ أَظُنُّهُ يَقْصِدُ بِهَا الجَبْخَانَ أَوِ الذَّخِيرَةَ. مُنْفَرِطَةٌ بَعْدَ إِفْرَاغِهَا.

وَالجُعْبُ: وَمُفْرَدُهَا جُعْبَةٌ وَهِيَ فِي الأَصْلِ جُعْبَةُ السِّهَامِ ثُمَّ جَاءُوا بِهَا لِلتَّشْبِيهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَوَاسِيرِ البَنَادِقِ. فَالجُعْبَةُ الأَصْلُ تَحْمِلُ السِّهَامَ وَالجُعْبَةُ الحَدِيثَةُ أَيِ مَاسُورَةُ البُنْدُقِيَّةِ تَحْمِلُ مَقْذُوفَ الرَّصَاصِ. وَقَدِ اشْتَدَّتْ سُخُونَةُ مَوَاسِيرِ البَنَادِقِ حَتَّى التَوَتْ. **وَجَا طَارَةٌ** أَيْ لَانَ وَالْتَفَّ كَأَنَّهُ حَلْقَةٌ، مِنْ كَثْرِ سُخُونَتِهِ مِنْ شِدَّةِ المَعْرَكَةِ وَتَوَاصُلِهَا.

يَا وِدَّادَةُ: مِنَ الوُدِّ وَهِيَ أَيْضًا صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الإِبِلِ فَهِيَ تَوَدُّ أَصْحَابَهَا بِلُحُومِهَا وَأَلْبَانِهَا ثُمَّ صَارَتْ اسْمًا لَهَا.

خَاشَّاتْ سُوقَكِ: أَيْ دَاخِلَاتْ سُوقَكِ أَيْ أَنَّ أَهْلَهَا وَرِجَالَهَا قَدْ دَخَلُوا سُوقَ هَذِهِ المَعْرَكَةِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مُقَدَّمًا أَنَّهُمْ سَيَخْسَرُونَ رِجَالًا وَيَدْفَعُونَ ثَمَنًا بَاهِظًا، فَقَدْ قَتَلُوا مِنَ اللُّصُوصِ مِائَةً وَخَمْسَةَ عَشَرَ قَتِيلًا مِنْ غَيْرِ الجَرْحَى الَّذِينَ صَعُبَ حَصْرُهُمْ.

وَقَدْ عُدْنَا بِإِبِلِنَا وَلَمْ نَتَأَثَّرْ كَثِيرًا بِمَنْ ضَحَّيْنَا بِهِ مِنَ الرِّجَالِ فِي سَبِيلِهَا، حَتَّى وَإِنْ كَانَ العَدَدُ الَّذِي فَقَدْنَاهُ لَيْسَ هَيِّنًا، فَقَدْ وَقَعَ مِنَّا سِتُّونَ قَتِيلًا وَقَدْ صَارَتْ جُثَثُهُمْ مُلْقَاةً تَأْكُلُ مِنْهَا الوُحُوشُ لَيْلَةً كَامِلَةً، حَتَّى أَتَيْنَا بِبَقَايَا أَجْسَادِهِمْ فِي الصَّبَاحِ، وَلَكِنَّ هَذَا الثَّمَنَ لَيْسَ كَفَّارَةً عَنْ ذَنْبٍ جَنَوْهُ، وَلَكِنَّهُ ضَرِيبَةُ الإِبِلِ وَالذَّوْدِ عَنْهَا وَهِيَ تَسْتَحِقُّ.

يَا المُهِينَةُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الإِبِلِ الَّتِي أَصْلُهَا صِفَةٌ فَالإِبِلُ مُهِينَةٌ وَمُهَانَةٌ لِمَنْ يَقْتَنِيهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ الدِّفَاعَ عَنْهَا، وَيَقُولُ أَنَّ أَسْيَادَكِ يَوْمَهَا مَنْ أَطْلَقُوا رَصَاصَهُمْ عَلَيْهِ قَدْ سَقَطَ.

جَرِينَه: أَي سَقَطَ مُنْكَبًّا وَكَأَنَّهُ جَرْنُ الزَّرْعِ بَعْدَ حَصَادِهِ وَتَكْوِيمِهِ تَمْهِيدًا لِدَرْسِهِ، بَلْ أَنَّ كَثْرَةَ أَعْدَادِ القَتْلَى مِنَ اللُّصُوصِ قَدْ كَوَّنَتْ جَرْنًا كَبِيرًا، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ رِجَالُكِ أَنْ لا تَرِدِّي مَاءَ جَرْدِينَهْ: وَهُوَ عَيْنُ مَاءٍ غَرْبَ مَدِينَةِ بَنْغَازِي وَرَاءَ الحُدُودِ.

يَا أُمَّ حُوَيِّرٍ: تَصْغِيرٌ لِلْحِوَارِ وَهُوَ صَغِيرُ النَّاقَةِ وَيَقْصِدُ الإِبِلَ فِي عُمُومِهَا، وَيَقُولُ: لَقَدْ صَارَ الكَلامُ بَيْنَنَا نَحْنُ الحَاضِرِينَ مِنْ أَهْلِ الإِبِلِ فِي هَذَا اليَوْمِ قَصِيرًا مُقْتَضَبًا لا جِدَالَ فِيهِ وَلا نِقَاش فَهُمَا كَلِمَتَانِ: أَمَّا أَنْ نَسْتَعِيدَ إِبِلَنَا مِنَ اللُّصُوصِ، أَوْ نَهْلِكَ دُونَهَا، فَكَانَ مِنَّا مَنْ خَافَ وَجَبُنَ وَاسْتَدَارَ عَنِ القِتَالِ وَهُمْ قِلَّةٌ لا تُذْكَرُ، وَلَكِنَّ الأَغْلَبَ الأَعَمَّ مِنَ الحُضُورِ شَارَكَ فِي القِتَالِ وَنَالَ الفَخْرَ بَعْدَ انْتِصَارِنَا عَلَى اللُّصُوصِ.

يَا أُمَّ شُعَافِي: مِنْ أَسْمَاءِ الإِبِلِ وَالشُّعْفَةُ جُمَّةُ الرَّأْسِ. ثَوَّبَ: تَصَاعَدَ. رَقِيقُ السَّافِي: أَيِ الغُبَارُ النَّاعِمُ المُتَرَاكِمُ يُشَبِّهُ الرَّصَاصَ بِهِ. وَحَدَّرَ: أَي سَقَطَ. هَافِي: أَي لا يَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدٌ. وَكَأَنَّهُ سَاقِطُ العُرْجُونِ: أَي وَكَأَنَّهُ النِّفَايَةُ مِنَ الحَشَفِ الَّذِي يَتَسَاقَطُ مِنْ عُرْجُونِ التَّمْرِ مِنَ النَّخْلِ أَوِ العُرْجُونِ مِنْ عَنَاقِيدِ العِنَبِ وَنَحْوِهِمَا.

وَبَعْدَ فَإِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ القَصِيدَةَ غَنِيَّةٌ بِالأَحْدَاثِ وَالوَقَائِعِ وَالوَصْفِ وَالتَّصْوِيرِ وَالإِبْدَاعِ الشِّعْرِيِّ مِنَ البَلاغَةِ وَالإِيجَازِ وَالبَيَانِ، وَجَمَعَتْ بَيْنَ الشِّعْرِ وَالسَّرْدِ فِي قِصَّةٍ وَحِكَايَةٍ فِي ثَنَايَا قَصِيدَةٍ.

رَحِمَ اللَّهُ الرَّاوِيَيْنِ الحَاجَّ يُونُسَ السَّاعِدِيَّ الجَلِيلُولِيَّ، وَالحَاجَّ رَحُومَةَ مُغِيبَ الصَّنْقَرِيَّ، وَرَحِمَ اللَّهُ الفَارِسَ شَاعِرَ هَذِهِ القَصِيدَةِ المَرْحُومَ بَرِيش أَبُو الحُوَيْجَّهِ الجَلِيلُولِيَّ وَأَدْخَلَهُمْ جَمِيعًا فَسِيحَ جَنَّاتِهِ.

قدوره العجني

القبائل العربية بمصر

و دورها في تشكيل الهوية









مجلة هلنا

بسنت شعراوي

تَحْتَلُّ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مِصْرَ مَكَانَةً بَارِزَةً فِي النَّسِيجِ الِاجْتِمَاعِيِّ وَالتَّارِيخِيِّ لِلْبِلَادِ، حَيْثُ تَعُودُ جُذُورُهَا إِلَى فَتَرَاتِ الْهِجْرَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ مَعَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ عَامَ 641م وَاسْتَمَرَّتْ عَبْرَ الْقُرُونِ. وَبِتَنَوُّعِ انْتِشَارِهَا بَيْنَ الصَّعِيدِ وَسِينَاءَ وَالصَّحْرَاءِ الْغَرْبِيَّةِ وَالدِّلْتَا، ظَلَّتِ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ تُمَثِّلُ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الْهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْمُجْتَمَعِيَّةِ لِمِصْرَ.

تَوْزِيعُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مِصْرَ:

1. الصَّعِيدُ الْمِصْرِيُّ: إِرْثُ الْقَبَائِلِ الْعَرِيقَةِ .. يَعُدُّ الصَّعِيدُ أَحَدَ أَبْرَزِ مَنَاطِقِ اسْتِقْرَارِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ، حَيْثُ تَنْتَمِي إِلَيْهِ قَبَائِلُ ذَاتُ تَارِيخٍ طَوِيلٍ:

- هَوَارَةُ: إِحْدَى الْقَبَائِلِ الْأَعْرَقِ الَّتِي اسْتَوْطَنَتِ الصَّعِيدَ مُنْذُ الْقَرْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ، وَلَهَا نُفُوذٌ وَاسِعٌ فِي مُحَافَظَاتٍ مِثْلَ قِنَا وَسُوهَاجَ وَالْمِنْيَا.
- الْجَعَافِرَةُ: يَعُودُ نَسَبُهُمْ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَيَتَوَاجَدُونَ بِكَثَافَةٍ فِي مَنَاطِقِ قِنَا وَأَسْوَانَ.
- الْعَوَامِرُ: قَبِيلَةٌ وَاسِعَةُ الِانْتِشَارِ فِي مُحَافَظَاتِ أَسْيُوطَ وَقِنَا وَسُوهَاجَ، وَلَهَا تَأْثِيرٌ ثَقَافِيٌّ وَاجْتِمَاعِيٌّ كَبِيرٌ.

2. سِينَاءُ: بَوَّابَةُ الْعَرَبِ إِلَى مِصْرَ.. تُعَدُّ سِينَاءُ مَوْطِنًا طَبِيعِيًّا لِلْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْبَدَوِيَّةِ، الَّتِي تَرْتَبِطُ ارْتِبَاطًا تَارِيخِيًّا وَثِيقًا بِشِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْقَبَائِلِ:

- التَّرَابِينُ: أَكْبَرُ قَبَائِلِ سِينَاءَ، وَتَمْتَدُّ أَيْضًا إِلَى الْأَرَاضِي الْفِلَسْطِينِيَّةِ.
- السَّوَارْكَةُ: تَتَمَرْكَزُ فِي شِمَالِ سِينَاءَ بِمَنَاطِقِ الْعَرِيشِ وَرَفَحَ، وَتُمَثِّلُ أَحَدَ الْأَعْمِدَةِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلْقَبَائِلِ السِّينَاوِيَّةِ.
- الْحُوَيْطَاتُ: تَنْتَشِرُ فِي جَنُوبِ سِينَاءَ وَلَهَا امْتِدَادٌ فِي دُوَلِ الْجِوَارِ مِثْلَ السُّعُودِيَّةِ وَالْأُرْدُنِّ.

3. الصَّحْرَاءُ الْغَرْبِيَّةُ: ارْتِبَاطٌ بِالشِّمَالِ الْإِفْرِيقِيِّ .. تُشَكِّلُ الصَّحْرَاءُ الْغَرْبِيَّةُ مَوْطِنًا لِعَدَدٍ مِنَ الْقَبَائِلِ ذَاتِ الْأُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِشِمَالِ إِفْرِيقِيَّا:

- أَوْلَادُ عَلِيٍّ: الْقَبِيلَةُ الْأَكْثَرُ عَدَدًا وَتَأْثِيرًا فِي مَرْسَى مَطْرُوحَ وَالسَّاحِلِ الشِّمَالِيِّ.
- الْعَبِيدَاتُ: قَبِيلَةٌ لِيبِيَّةُ الْأَصْلِ، تَمْتَدُّ جُذُورُهَا إِلَى الْحُدُودِ بَيْنَ مِصْرَ وَلِيبِيَا.
- الزَّوَايِدَةُ: يَتَوَاجَدُ أَفْرَادُهَا فِي وَاحَةِ سِيُوَةَ وَمَا حَوْلَهَا.

4. الْوَجْهُ الْبَحْرِيُّ وَالدِّلْتَا: تَوَاجُدٌ مَحْدُودٌ لَكِنْ مُؤَثِّرٌ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قِلَّةِ الْقَبَائِلِ الْبَدَوِيَّةِ فِي الدِّلْتَا مُقَارَنَةً بِالْمَنَاطِقِ الْأُخْرَى، إِلَّا أَنَّ قَبَائِلَ مِثْلَ:

- بَنِي هِلَالٍ: الَّتِي شَارَكَتْ فِي الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَاسْتَقَرَّتْ فِي بَعْضِ مَنَاطِقِ الدِّلْتَا.
- الْعَبَابِدَةِ وَالْبَشَارِيَّةِ: الَّتِي لَهَا جُذُورٌ عَمِيقَةٌ تَمْتَدُّ مِنَ الصَّعِيدِ إِلَى الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ.

أَدْوَارُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مِصْرَ:

- اجْتِمَاعِيًّا:

لَعِبَتِ الْقَبَائِلُ دَوْرًا كَبِيرًا فِي نَقْلِ الْقِيَمِ الْبَدَوِيَّةِ الْأَصِيلَةِ مِثْلَ الْكَرَمِ، الشَّجَاعَةِ، وَالْحِفَاظِ عَلَى التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ. كَمَا ظَلَّتْ مَجَالِسُهَا الْعُرْفِيَّةُ جُزْءًا مِنَ الْحُلُولِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ لِلنِّزَاعَاتِ.

- اقْتِصَادِيًّا:

سَاهَمَتِ الْقَبَائِلُ فِي تَعْزِيزِ النَّشَاطِ الزِّرَاعِيِّ وَالرَّعَوِيِّ فِي الصَّعِيدِ وَالصَّحْرَاءِ، إِضَافَةً إِلَى دَوْرِهَا فِي التِّجَارَةِ الْحُدُودِيَّةِ بِسِينَاءَ، مَا يَجْعَلُهَا عُنْصُرًا فَاعِلًا فِي الِاقْتِصَادِ الْمَحَلِّيِّ.

- سِيَاسِيًّا:

تَارِيخِيًّا، دَعَمَتِ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، سَوَاءٌ فِي الْفُتُوحَاتِ أَوْ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْحُدُودِ. أَمَّا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، فَتُمَثِّلُ قُوَّةً اجْتِمَاعِيَّةً وَسِيَاسِيَّةً مُؤَثِّرَةً، خَاصَّةً فِي الْمَنَاطِقِ الْحُدُودِيَّةِ وَالنَّائِيَةِ.

الثَّقَافَةُ وَالْعَادَاتُ:

مَا زَالَتِ الْقَبَائِلُ تَحْتَفِظُ بِعَادَاتِهَا الْأَصِيلَةِ، حَيْثُ يَتَحَدَّثُ الْبَعْضُ بِلَهَجَاتٍ بَدَوِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ، إِلَى جَانِبِ الْحِفَاظِ عَلَى الْمَلَابِسِ التَّقْلِيدِيَّةِ مِثْلَ الْجَلَّابِيَّةِ وَالْعِقَالِ. كَمَا تَتَمَسَّكُ الْقَبَائِلُ بِطُقُوسِهَا فِي الزَّوَاجِ، الضِّيَافَةِ، وَحَلِّ النِّزَاعَاتِ عَبْرَ الْمَجَالِسِ الْعُرْفِيَّةِ.

التَّحَدِّيَاتُ الَّتِي تُوَاجِهُ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ:

- **التَّنْمِيَةُ:** تُعَانِي بَعْضُ الْمَنَاطِقِ الْقَبَلِيَّةِ مِنْ نَقْصٍ فِي الْخَدَمَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ مِثْلَ التَّعْلِيمِ وَالصِّحَّةِ.
- **الْهُوِيَّةُ:** يُوَاجِهُ أَفْرَادُ الْقَبَائِلِ تَحَدِّيَاتٍ فِي الْحِفَاظِ عَلَى ثَقَافَتِهِمِ الْقَبَلِيَّةِ فِي ظِلِّ التَّطَوُّرِ الْحَضَرِيِّ السَّرِيعِ.
- **الْبِطَالَةُ:** مِثْلَ الْعَدِيدِ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الرِّيفِيَّةِ، تُعَانِي بَعْضُ الْقَبَائِلِ مِنْ نَقْصِ فُرَصِ الْعَمَلِ، مَا يَزِيدُ مِنَ التَّحَدِّيَاتِ الِاقْتِصَادِيَّةِ.

خِتَامًا، تُمَثِّلُ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مِصْرَ رَكِيزَةً أَسَاسِيَّةً فِي تَارِيخِ الْبِلَادِ وَحَاضِرِهَا، حَيْثُ تُجَسِّدُ رَوَابِطَ تَارِيخِيَّةً وَثَقَافِيَّةً تَجْمَعُ بَيْنَ مِصْرَ وَبَقِيَّةِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ. وَبِالرَّغْمِ مِنَ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُوَاجِهُهَا، فَإِنَّ دَوْرَ الْقَبَائِلِ لَا يَزَالُ مُؤَثِّرًا فِي مُخْتَلِفِ الْجَوَانِبِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالِاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، مِمَّا يَجْعَلُهَا جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الْهُوِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ.

بسنت شعراوي

الإبداع في الأدب البدوي

بمحافظة مطروح



منعم لعبيدي

كَانَ الأَدَبُ العَرَبِيُّ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ لِسَانًا لِلْعَرَبِ وَدِيوَانًا لَهُمْ يُوَثِّقُ كَافَّةَ مَنَاحِي حَيَاتِهِمُ اليَوْمِيَّةِ، وَيُعَبِّرُ عَنْ هُوِيَّتِهِمُ العَرَبِيَّةِ، وَيُعَدُّ الأَدَبُ البَدَوِيُّ فِي مَطْرُوحَ جُزْءًا أَصِيلًا مِنَ الأَدَبِ العَرَبِيِّ، مِيزَتُهُ رُوحُ البَادِيَةِ الَّتِي حَفِظَتْ لَهْجَتَهُ العَرَبِيَّةَ القَدِيمَةَ، بِثَرَائِهَا بِالمُفْرَدَاتِ وَبَلَاغَةِ التَّعْبِيرِ، وَمِنَ المَشْهُورِ أَنَّ المَعَاجِمَ وَالقَوَامِيسَ العَرَبِيَّةَ جُمِعَتْ مِنَ البَوَادِي العَرَبِيَّةِ؛ جَمَعَهَا العُلَمَاءُ كَأَمْثَالِ: سِيبَوَيْهِ؛ وَقُطْرُب؛ وَالأَصْمَعِيِّ؛ وَأَبِي زَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ؛ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ لِلْبَوَادِي فَيَجْمَعُونَ كَلَامَ الأَعْرَابِ وَأَشْعَارَهُمْ.

كَذَلِكَ قَالَ الجَاحِظُ وَاصِفًا بَلَاغَةَ أَهْلِ البَادِيَةِ: لَيْسَ فِي الأَرْضِ كَلَامٌ هُوَ أَمْتَعُ وَلَا أَنْفَعُ وَلَا أَنَقُ وَلَا أَلَذُّ فِي الأَسْمَاعِ؛ وَلَا أَشَدُّ اتِّصَالًا بِالعُقُولِ السَّلِيمَةِ؛ وَلَا أَفْتَقُ لِلِّسَانِ؛ وَلَا أَجْوَدُ تَقْوِيمًا لِلْبَيَانِ؛ مِنْ طُولِ اسْتِمَاعِ حَدِيثِ البُدُوِّ العُقَلَاءِ الفُصَحَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ المُقَفَّعِ: أَيُّ حِكْمَةٍ تَكُونُ أَبْلَغَ أَوْ أَحْسَنَ؛ أَوْ أَغْرَبَ أَوْ أَعْجَبَ مِنْ غُلَامٍ بَدَوِيٍّ لَمْ يَرَ رِيفًا؛ وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ طَعَامٍ؛ يَسْتَوْحِشُ مِنَ الكَلَامِ؛ وَيَفْزَعُ مِنَ البَشَرِ؛ وَيَأْوِي إِلَى القَفْرِ وَاليَرَابِيعِ وَالظِّبَاءِ؛ وَقَدْ خَالَطَ الغِيلَانَ؛ وَأَنِسَ بِالجَانِّ!

فَكَانَتْ حَيَاةُ البَادِيَةِ الَّتِي اتَّسَمَ بِهَا الأَدَبُ المَطْرُوحِيُّ عَامِلًا هَامًّا فِي الحِفَاظِ عَلَى أَصَالَةِ الأَدَبِ وَسَلَامَةِ المُفْرَدَاتِ بِلَهْجَةٍ بَدَوِيَّةٍ لَمْ تَشِبْهَا مُفْرَدَاتٌ أَجْنَبِيَّةٌ مُتَّسِمَةٌ بِبَلَاغَةِ التَّعْبِيرِ وَعُمْقِ الأُسْلُوبِ.

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يُمَيِّزُ الأَدَبَ فِي مَطْرُوحَ بِشَكْلٍ خَاصٍّ، هُوَ شُيُوعُ اسْتِخْدَامِهِ عِنْدَ كَافَّةِ فِئَاتِ المُجْتَمَعِ، فَهُوَ يُمَارَسُ بِكَثْرَةٍ وَيَتَخَلَّلُ فِي كُلِّ مَنَاحِي الحَيَاةِ، وَيُرْوَى مِنْ قِبَلِ الجَمِيعِ، سَوَاءً نَقْلًا عَنِ الأَسْلَافِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، أَوْ نَقْلًا عَنْ شُعَرَاءِ مُعَاصِرِينَ.

وَلَمْ تَكُنْ مُمَارَسَةُ الأَدَبِ المَطْرُوحِيِّ مِنَ التَّغَنِّي بِالأَشْعَارِ وَالأَنَاشِيدِ وَسَرْدِ القِصَصِ وَالحِكَايَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ صُنُوفِ الأَدَبِ، قَاصِرَةً عَلَى فِئَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الأُدَبَاءِ أَوِ الشُّعَرَاءِ المُحْتَرِفِينَ، بَلْ احْتَفَظَ الأَدَبُ فِي مَطْرُوحَ بِمُصَاحَبَتِهِ القَوِيَّةِ لِكُلِّ مُمَارَسَاتِ وَأَعْمَالِ الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ لِأَفْرَادِ المُجْتَمَعِ المَطْرُوحِيِّ كَافَّةً.

وَتَبْرُزُ البَلَاغَةُ فِي البَادِيَةِ حَتَّى أَثْنَاءَ تَبَادُلِ الحَدِيثِ العَادِيِّ فِي الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ مِنْ خِلَالِ حُسْنِ اخْتِيَارِ المُفْرَدَاتِ وَالمُصْطَلَحَاتِ فِي عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ لَا يُطْلِقُ البَدْوُ عَلَى "أُمِّ الأَبِ" أَوْ "أُمِّ الأُمِّ" مُصْطَلَحَ: "جَدَّةٌ" - لِوُجُودِ العَدِيدِ مِنَ

المَعَانِي الكَرِيهَةِ لِهَذَا المُصْطَلَحِ فِي اللُّغَةِ؛ وَهَذِهِ بَعْضُ مَعَانِيهِ اللُّغَوِيَّةِ، الجُدَّةُ: جُزْءُ الشَّيءِ يُخَالِفُ لَوْنُهُ لَوْنَ سَائِرِهِ، الجِدَّةُ: وَجْهُ الأَرْضِ، الجِدَّةُ: قِلَادَةٌ فِي عُنُقِ الكَلْبِ، وَلَكِنْ يُطْلِقُونَ عَلَيْهَا: حَنُّ - مِنَ الحَنَانِ، وَالرِّقَّةِ، حَنَّ لِلشَّيءِ: اشْتَاقَ وَتَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، حَنَّ العُودُ: صَوَّتَ العَزْفُ عِنْدَ النَّقْرِ، حَنَّتِ النَّاقَةُ: أَحْدَثَتْ صَوْتًا وَهِيَ تَمُدُّ عُنُقَهَا شَوْقًا إِلَى وَلَدِهَا. كَذَلِكَ مِنْ فَرْطِ بَلَاغَةِ بَادِيَةِ مَطْرُوحَ وَالَّتِي يَنْتَشِرُ فِيهَا تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ هُوَ عَدَمُ إِطْلَاقِ مُصْطَلَحِ: "ضُرَّةٌ" عَلَى إِحْدَى زَوْجَتَيْ الرَّجُلِ، لِأَنَّهَا لَنْ تَضُرَّ الأُخْرَى، وَلَكِنْ يُطْلِقُ عَلَيْهَا: شَرِيبَةٌ، لِأَنَّهَا تَشْرَبُ مَعَ الأُخْرَى مِنْ نَفْسِ القَدَحِ، الشَّرِيبُ: الَّذِي يُشَارِكُ فِي الشُّرْبِ أَوْ وُرُودِ المَاءِ. وَمِنْ جَمَالِيَّاتِ الأَدَبِ المَطْرُوحِيِّ أَنَّهُ لَمْ يُصَاحِبِ المُنَاسَبَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ كَالأَفْرَاحِ وَالاحْتِفَالَاتِ عَنْ طَرِيقِ الغِنَاءِ وَالرَّقْصِ وَالمُوسِيقَى وَكَذَلِكَ المُنَاسَبَاتِ الحَزِينَةِ عَنْ طَرِيقِ الرِّثَاءِ وَالبُكَاءِ عَلَى الأَطْلَالِ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ تَوَاجَدَ وَبَدَا مُتَجَلِّيًا فِي العَدِيدِ مِنَ المُمَارَسَاتِ اليَوْمِيَّةِ العَادِيَّةِ، كَأَنَاشِيدِ طَحْنِ الحُبُوبِ أَوْ مَا يُسَمَّى (مُهَاجَاةِ الرَّحَى) الَّتِي تَتَغَنَّى بِهَا المَرْأَةُ المَطْرُوحِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ وَهِيَ تُحَضِّرُ الخُبْزَ وَالطَّعَامَ، وَالغِنَاءِ لِلأَطْفَالِ أَوْ مَا يُسَمَّى بِالتَّرْجِيبِ أَوِ التَّرْقِيصِ، وَالرِّوَايَاتِ وَالقِصَصِ وَالأَحَاجِي وَالأَلْغَازِ الَّتِي تُرْوَى لِلصِّغَارِ وَالكِبَارِ بِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ، وَغَيْرِهَا مِنَ الأَشْعَارِ وَالأَنَاشِيدِ الَّتِي صَاحَبَتِ المَزَارِعَ البَدَوِيَّ طِوَالَ رِحْلَةِ مَحْصُولِهِ مُنْذُ الدُّعَاءِ لِلَّهِ طَلَبًا لِلْمَطَرِ، ثُمَّ الإِنْشَادِ طَلَبًا لِلْمُبَارَكَةِ فِي البُذُورِ الَّتِي يُغْرِسُهَا، ثُمَّ الغِنَاءِ فِي وَقْتِ الحَصَادِ وَدَرْسِ المَحْصُولِ، وَكَذَلِكَ الغِنَاءِ أَثْنَاءَ الرَّعْيِ وَجَزِّ صُوفِ الأَغْنَامِ وَصِنَاعَةِ الأَدَوَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الأَعْمَالِ وَالمُمَارَسَاتِ اليَوْمِيَّةِ.

كَذَلِكَ قَامَ الإِنْسَانُ المَطْرُوحِيُّ أَيْضًا بِتَوْثِيقِ العُلُومِ وَالثَّوَابِتِ بِالأَشْعَارِ وَالأَنَاشِيدِ مِثْلَ تَوْثِيقِ مَوَاعِيدِ مَرَاحِلِ الزِّرَاعَةِ وَنَوَّاتِ الطَّقْسِ وَأَسْمَاءِ النُّجُومِ وَمَوَاقِيتِهَا وَالفَوَائِدِ الطِّبِّيَّةِ لِلأَعْشَابِ وَطُرُقِ الصَّيْدِ وَالمَعَارِكِ الحَرْبِيَّةِ وَالتَّارِيخِ وَالطَّبِيعَةِ الجُغْرَافِيَّةِ لِبِيئَتِهِ وَمَا يَعِيشُ فِيهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَغَيْرِهَا مِنَ العُلُومِ وَالخِبْرَاتِ وَالعَادَاتِ وَالمُمَارَسَاتِ اليَوْمِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ. وَيَمْتَازُ الأَدَبُ المَطْرُوحِيُّ بِبَلَاغَةِ الوَصْفِ وَإِتْقَانِ أَسَالِيبِهِ الجَمَالِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ فَضْلًا عَنِ القُدْرَةِ الفَائِقَةِ عَلَى تَرْكِيزِ وَتَكْثِيفِ المَعَانِي الكَبِيرَةِ فِي عِبَارَاتٍ وَجُمَلٍ قَصِيرَةٍ، وَلَا يَخْلُو مِنِ اسْتِخْدَامِ أُسْلُوبِ التَّشْوِيقِ فِي السَّرْدِ وَالشِّعْرِ وَاحْتِوَائِهِ عَلَى فِكْرَةٍ مُفِيدَةٍ

وَالقُدْرَةِ عَلَى المُنَاوَرَةِ بِالأَدَبِ وَالأَشْعَارِ، وَهُوَ مَا كَانَ يُسَمَّى قَدِيمًا بِبَيْتِ الجَلَّاسِ، وَالَّذِي يُعَدُّ صُورَةً تَتَشَابَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَلَامِحِهَا بِبَيْتِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ فِي سُوقِ عُكَاظٍ.

حَيْثُ يَتَبَارَى شَبَابُ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا البَيْتِ بِالأَشْعَارِ وَالبَلَاغَةِ مَعَ وُجُودِ حُكَّامٍ مُتَخَصِّصِينَ، وَلَا تَقْتَصِرُ المُبَارَزَةُ بِالشِّعْرِ وَالتَّحَدِّي بَيْنَ الشَّبَابِ وَصِغَارِ الشُّعَرَاءِ فَقَطْ، وَلَكِنْ أَيْضًا يُعْتَبَرُ (القَذِّيرُ) وَهُوَ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الشِّعْرِ المَطْرُوحِيِّ الخَاصِّ بِمَوْسِمِ جَزِّ صُوفِ الأَغْنَامِ؛ مِنْ أَهَمِّ مَظَاهِرِ التَّحَدِّي وَالمُبَارَاةِ بَيْنَ كِبَارِ الشُّعَرَاءِ، وَالَّذِي يَحْرِصُ عَلَى حُضُورِهِ الجَمِيعُ وَيُعَدُّ بِمَثَابَةِ مَهْرَجَانِ شِعْرٍ سَنَوِيٍّ كَمَا سَنُوضِحُ لَاحِقًا.

بَعْضُ صُوَرِ الأَدَبِ المَطْرُوحِيِّ البَلِيغَةِ المُكَثَّفَةِ

أَوَّلًا: غَنَاوَةُ العِلْمِ وَعَلَاقَتُهَا بِالوَمْضَةِ الأَدَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ

غَنَاوَةُ العِلْمِ "الوَمْضَةُ التُّرَاثِيَّةُ"

غَنَاوَةُ العِلْمِ لُغَوِيًّا، غَنَاوَةٌ مِنَ الغِنَاءِ وَعَلَمٌ مِنَ العَلَامَةِ وَالأَثَرِ، وَأَيْضًا عَلَمٌ تَعْنِي سَيِّدَ القَوْمِ، وَهَذَا هُوَ المَقْصُودُ مِنَ الغَنَاوَةِ حَيْثُ يَقُومُ الشَّاعِرُ بِنَظْمِ الغَنَاوَةِ بِطَرِيقَةٍ مُكَثَّفَةٍ جِدًّا وَمُرَكَّزَةٍ لِيَقُومَ بِإِيصَالِ فِكْرَتِهِ بِبَلَاغَةِ سَيِّدِ القَوْمِ الحَكِيمِ الَّذِي يَتْرُكُ بِغَنَاوَتِهِ عَلَامَةً وَأَثَرًا لَدَى السَّامِعِ.

وَغَنَاوَةُ العِلْمِ هِيَ وَمْضَةٌ تُرَاثِيَّةٌ بَدِيعَةٌ تَتَفَوَّقُ فِي رَمْزِيَّتِهَا عَنِ الوَمْضَةِ الأَدَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ

وَالوَمْضَةُ فِي اللُّغَةِ مِنْ «وَمَضَ» وَوَمَضَ البَرْقُ: لَمَعَ خَفِيفًا، وَأَوْمَضَتِ المَرْأَةُ: سَارَقَتِ النَّظَرَ، وَأَوْمَضَ فُلَانٌ: أَشَارَ إِشَارَةً خَفِيَّةً.

وَفِي هَذَا المَعْنَى شَيْءٌ مِنَ اللَّمَعَانِ وَالتَّلَأْلُؤِ وَالتَّأَلُّقِ وَالإِشْرَاقِ وَالتَّوَهُّجِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الإِدْهَاشِ وَالتَّشْوِيقِ وَفِيهِ شَيْءٌ آخَرُ مِنَ الشَّفَافِيَّةِ وَالغُمُوضِ الآسِرِ وَعَدَمِ الإِيضَاحِ لِكُلِّ شَيْءٍ. وَفِيهِ شَيْءٌ آخَرُ مِنَ التَّكْثِيفِ وَالاخْتِزَالِ وَالاقْتِصَادِ اللُّغَوِيِّ. وَقَدْ قِيلَ: «البَلَاغَةُ هِيَ الإِيجَازُ» كَمَا قِيلَ «خَيْرُ الكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ». «وَيَتَدَاخَلُ مَعَ مَعْنَى الوَمْضَةِ، البَرْقِيَّةُ وَلِذَلِكَ يُقَالُ: «القَصِيدَةُ البَرْقِيَّةُ، القَصِيدَةُ الوَمْضَةُ وَهِيَ قَصِيدَةٌ مُكَثَّفَةٌ وَمُخْتَزَلَةٌ جِدًّا». (1)

وَنَخْتَلِفُ مَعَ مَنْ قَالَ إِنَّ الوَمْضَةَ لَوْنٌ أَدَبِيٌّ جَدِيدٌ مُبْتَكَرٌ حَدِيثٌ، فَلَوْ بَحَثْنَا فِي التُّرَاثِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ لَوَجَدْنَا الوَمْضَةَ بِكَامِلِ رَوْنَقِهَا تَبْرُزُ فِي العَدِيدِ مِنَ المَوَاقِفِ وَالكِتَابَاتِ، فَمَثَلًا هَذَا

حَكِيمُ العَرَبِ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ يُومِضُ بِحَرْفِهِ وَيَقُولُ "تَبَاعَدُوا فِي الدَّارِ؛ تَقَارَبُوا فِي المَوَدَّةِ".
وَهِيَ وَمْضَةٌ عَرِيقَةٌ مُكْتَمِلَةُ الأَرْكَانِ تَنْطَبِقُ عَلَيْهَا كَافَّةُ شُرُوطِ الوَمْضَةِ الحَدِيثَةِ.
وَالوَمْضَةُ ابْنَةٌ شَرْعِيَّةٌ لِأَدَبِ التَّوْقِيعَاتِ العَرَبِيِّ، وَرُوَّادُهَا فِي العَصْرِ الحَدِيثِ عَزُّ الدِّينِ المَنَاصِرَةِ، أَحْمَدُ مَطَرُ، مُظَفَّرُ النَّوَّابِ، وَنِزَارُ قَبَّانِيُّ ثُمَّ انْتَشَرَتْ بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ بَيْنَ الأُدَبَاءِ وَظَهَرَتْ لَهَا رَوَابِطُ وَمُسَابَقَاتٌ فِي آخِرِ خَمْسِ سَنَوَاتٍ تَحْدِيدًا.
وَلَكِنْ رَبْطُ البَعْضِ الوَمْضَةَ بِالحَدَاثَةِ حَصْرًا وَنَفْيُهَا عَنِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ دَفَعَنَا لِلْبَحْثِ عَنْهَا فَوَجَدْنَاهَا أَيْضًا فِي أَلْوَانٍ تُرَاثِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ أَصِيلَةٍ مِثْلَ "غَنَاوَةِ العِلْمِ" وَ"الشِّتَّاوَةِ" وَ"القَذَّارَةِ" وَغَيْرِهَا مِنْ أَلْوَانِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ الأَصِيلِ المَوْجُودِ مُنْذُ القِدَمِ وَحَتَّى اليَوْمِ فِي بَوَادِي غَرْبِ مِصْرَ وَشَرْقِ لِيبْيَا.
وَلَوْ قَارَنَّا الوَمْضَةَ الحَدِيثَةَ بِهَذِهِ الأَلْوَانِ البَدِيعَةِ، لاكْتَشَفْنَا أَنَّ الوَمْضَةَ الحَدِيثَةَ مَا هِيَ إِلَّا صُورَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ مِنْ صُوَرِ هَذِهِ الأَلْوَانِ البَلِيغَةِ المُكَثَّفَةِ، وَلَسَلَّمْنَا بِأَنَّ الوَمْضَةَ الحَدِيثَةَ مَا زِلْتَ تَحْبُو بِجِوَارِ هَذِهِ الأَلْوَانِ الأَدَبِيَّةِ المُتَمَيِّزَةِ فِي تَنَوُّعِهَا وَبَلَاغَتِهَا وَتَكْثِيفِهَا وَرَمْزِيَّتِهَا وَحَتَّى فِي المُوسِيقَى وَطَرِيقَةِ الأَدَاءِ.
وَسَنَتَنَاوَلُ مَا سَبَقَ وَنُدَلِّلُ عَلَيْهِ بِأَمْثِلَةٍ تُرَاثِيَّةٍ:
تُعَدُّ غَنَاوَةُ العِلْمِ مِنْ أَكْثَرِ أَلْوَانِ الأَدَبِ شُهْرَةً وَاسْتِخْدَامًا فِي المِنْطَقَةِ المَنُوهِ عَنْهَا، وَذَلِكَ لِعَدَمِ ارْتِبَاطِهَا بِمُنَاسَبَاتٍ مُعَيَّنَةٍ تُؤَدَّى فِيهَا، بَلْ إِنَّهَا تُؤَدَّى فِي أَيِّ وَقْتٍ حَسَبَ المَوْقِفِ الَّذِي يَمُرُّ بِهِ الإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ اليَوْمِيَّةِ رَجُلًا كَانَ أَوِ امْرَأَةً، وَسَوَاءٌ كَانَتِ الغَنَاوَةُ قَدِيمَةً أَوْ حَدِيثَةً، سَوَاءٌ كَانَ هُوَ صَاحِبُهَا أَوْ فَقَطْ نَاقِلَهَا وَمُؤَدِّيهَا، وَسَوَاءٌ كَانَ يَعْلَمُ صَاحِبَهَا أَوْ يَجْهَلُهُ، فَـ الغَنَاوَةُ فِي البَادِيَةِ تَتَفَوَّقُ حَتَّى عَلَى الأَمْثَالِ الشَّعْبِيَّةِ فِي انْتِشَارِهَا وَكَثْرَةِ اسْتِخْدَامِهَا.
وَغَنَاوَةُ العِلْمِ عِبَارَةٌ عَنْ جُمْلَةٍ تَتَكَوَّنُ مِنْ بَيْتٍ وَاحِدٍ مَلْحُونٍ وَمُكَوَّنٍ مِنْ شَاطِرَيْنِ، وَتَحْمِلُ حِكْمَةً أَوْ تُشِيرُ لِمَوْقِفٍ أَوْ تَشْرَحُ حَالَةً أَوْ تَرْوِي قِصَّةً قَصِيرَةً جِدًّا وَتَعْتَمِدُ فِي إِحْدَى صُوَرِهَا عَلَى المُفَارَقَةِ وَالدَّهْشَةِ كَمَا فِي الوَمْضَةِ.
وَتُؤَدَّى بِوَاسِطَةِ "غَنَّايٍ" أَوْ مُؤَدٍّ بِنَبْرَةٍ حَزِينَةٍ مَعَ تَغْطِيَةِ الوَجْهِ بِاليَدَيْنِ، بِطَرِيقَةٍ تَعْتَمِدُ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَالتَّشْوِيقِ مَعَ مَدِّ حُرُوفِ العِلَّةِ وَتَكْرَارِ الكَلِمَاتِ بِأُسْلُوبٍ مُمَيَّزٍ لَا يَجْعَلُ الحِكْمَةَ مِنَ الغَنَاوَةِ

غَنَّاهَا وَيُضِيفُ إِلَيْهَا كَلِمَةً جَدِيدَةً مِنَ الغَنَاوَةِ تَقُومُ بِتَقْرِيبِ المَعْنَى، وَهَكَذَا يَقْتَرِبُ الغَنَّايُ مِنْ اكْتِمَالِ المَعْنَى فِي كُلِّ مَرَّةٍ مَعَ إِنْصَاتِ الحَاضِرِينَ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ اكْتِمَالَ الغَنَاوَةِ حَتَّى يَصِلَهُمْ مَغْزَاهَا كَامِلًا، وَغَالِبًا مَا تَتْبَعُهَا طَلَقَاتٌ نَارِيَّةٌ وَصِيحَاتٌ مِنَ المُسْتَمِعِينَ. وَلَا يَكْتَمِلُ مَغْزَى الغَنَاوَةِ إِلَّا بِالكَلِمَةِ الأُولَى فِي الشَّاطِرِ الثَّانِي الَّذِي يُمَثِّلُ النَّتِيجَةَ فِي الوَمْضَةِ الحَدِيثَةِ، فَهَذِهِ الكَلِمَةُ هِيَ مِفْتَاحُ الغَنَاوَةِ الَّذِي يَفْتَحُ لُغْزَ المَعْنَى وَيُوضِحُهُ، وَكَعَادَةِ الوَمْضَةِ الحَدِيثَةِ كُلَّمَا كَانَتْ غَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ وَمُبَاغِتَةٍ وَتَدْعُو لِلدَّهْشَةِ كُلَّمَا كَانَتِ الغَنَاوَةُ أَقْوَى.
وَلِغَنَاوَةِ العِلْمِ مَوَاضِيعُ مُخْتَلِفَةٌ، تَتَخَطَّى الأَرْبَعِينَ مَوْضُوعًا، يُطْلَقُ عَلَيْهَا فَوَاهِقُ وَالمُفْرَدُ فَاهِقٌ، وَالفَاهِقُ عِنْدَ أَهْلِ البَادِيَةِ هُوَ الفَتْحَةُ أَوِ الجُزْءُ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ فِي خَيْمَةِ البَادِيَةِ وَالَّذِي يَكُونُ مُمتَدًّا أَعْلَى أَرْوِقَةِ خَيْمَةِ العَرَبِ فِي جَوَانِبِهَا وَتَحْتَ سَقْفِهَا، وَهُوَ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ حَدِيثًا "عُنْوَانُ الوَمْضَةِ".
وَيَخْتَلِفُ فَاهِقُ الغَنَاوَةِ أَوْ عُنْوَانُهَا عَنْ عُنْوَانِ الوَمْضَةِ الحَدِيثَةِ فِي رَمْزِيَّتِهِ وَبَلَاغَتِهِ الشَّدِيدَةِ وَاحْتِمَالِ التَّأْوِيلِ لِمَوَاضِيعَ فَرْعِيَّةٍ لَا حَصْرَ لَهَا وَلَا تَظْهَرُ مُبَاشَرَةً فِي العُنْوَانِ وَلَكِن يَكْتَشِفُهَا المُتَلَقِّي مِنَ الغَنَاوَةِ، فِي حِينِ أَنَّ عُنْوَانَ الوَمْضَةِ الحَدِيثَةِ يَعْتَمِدُ عَلَى المُبَاشَرَةِ وَيَشْرَحُ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ مُحْتَوَى الوَمْضَةِ.
مِثَالٌ عَلَى الغَنَاوَةِ فِي صُورَةِ الوَمْضَةِ المُفَارَقَةِ
يَقُولُ الشَّاعِرُ البَدَوِيُّ "عَقَّالٌ مِيعْدُوا عَ النَّارِ؛ شَقُّوا رَمِيسَ حَايُوا جَمْرَهَا." عَلَى فَاهِقِ (النَّارِ)
وَالمَعْنَى فِي شَكْلِ الوَمْضَةِ الحَدِيثَةِ
"اجْتَمَعَ كِبَارُ القَوْمِ؛ أَشْعَلُوا فِتَنًا خَامِدَةً." وَمِنَ المُمْكِنِ عَنْوَنَتُهَا بِـ (حَسْرَةٍ-حِكْمَةٍ) وَالمَقْصُودُ بِالعَقَّالِ: هُم أَصْحَابُ العَقْلِ وَالرَّجَاحَةِ مِنَ القَوْمِ وَهُمُ القُضَاةُ العُرْفِيُّونَ الَّذِينَ مِنَ المُفْتَرَضِ بِهِمُ الإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ وَالحُكْمِ بَيْنَهُمْ. مِيعْدُوا: مِنَ المَوْعِدِ أَوِ المِيعَادِ وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ اتِّفَاقًا مُسْبَقًا بَيْنَ هَؤُلَاءِ القُضَاةِ لِلاجْتِمَاعِ. وَبِالطَّبْعِ لَا يَكُونُ الاجْتِمَاعُ إِلَّا لِحَلِّ مُشْكِلَةٍ.
عَ النَّارِ: عَلَى النَّارِ وَيَقْصِدُ بِهَا مُشْكِلَةً قَائِمَةً اجْتَمَعَ القُضَاةُ لِحَلِّهَا وَيُشَارُ إِلَيْهَا بِرَمْزِيَّةٍ. شَقُّوا رَمِيسَ: أَيْ شَقُّوا رَمَادَ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي كَادَتْ أَنْ تَخْمُدَ وَتَنْطَفِئَ.
وَرَمِيسُ فِي اللُّغَةِ مِنَ الرَّدْمِ.

حَايُوا جَمْرَهَا: أَيْ أَخْرَجُوا الجَمْرَ مِنْ تَحْتِ الرَّمَادِ وَبَرَزَتِ المُشْكِلَةُ مِنْ جَدِيدٍ.
وَمِنَ المُمْكِنِ تَأْوِيلُهَا مَدْحًا لِهَؤُلَاءِ القُضَاةِ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الجَمْرَ المُخَبَّأَ تَحْتَ الرَّمَادِ لِكَيْ يَقُومُوا بِالقَضَاءِ عَلَى مَا تَبَقَّى مِنْهُ - تَرْمِيزًا لِلقَضَاءِ عَلَى جُذُورِ المُشْكِلَةِ وَإِخْرَاجِ مَا بَقِيَ فِي نُفُوسِ الخُصُومِ وَهُنَا نَسْتَخْدِمُ العُنْوَانَ (حِكْمَةٍ) كَإِشَارَةٍ عَلَى حِكْمَةِ هَؤُلَاءِ القُضَاةِ. أَوْ مِنَ المُمْكِنِ تَفْسِيرُهَا ذَمًّا لِهَؤُلَاءِ القُضَاةِ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الجَمْرَ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ تَحْتِ الرَّدْمِ وَمِنَ المُتَعَارَفِ عَلَيْهِ أَنَّ الجَمْرَ تَحْتَ الرَّدْمِ سَيَنْطَفِئُ لَا مَحَالَةَ لِعَدَمِ وُجُودِ أُكْسِجِينٍ، تَرْمِيزًا لِإِحْيَاءِ جَوَانِبِ المُشْكِلَةِ مِنْ جَدِيدٍ بَيْنَ الخُصُومِ وَلَوْ تَرَكُوهَا لَخَمَدَتْ وَانْتَهَتْ، وَهُنَا يُمْكِنُنَا اسْتِخْدَامُ العُنْوَانِ (حَسْرَةٍ) كَإِشَارَةٍ لِفِعْلِ القُضَاةِ. وَهَذَا مِثَالٌ قَوِيٌّ عَلَى بَلَاغَةِ غَنَاوَةِ العِلْمِ وَاحْتِمَالِ تَأْوِيلِهَا لِتَأْوِيلٍ مُخْتَلِفَةٍ تَصِلُ لِحَدِّ تَأْوِيلِ النَّقِيضِ، لِكَيْ تُعَبِّرَ عَنْ حَالَةِ كُلِّ مَنْ يَسْمَعُهَا فَيَفْهَمُهَا بِمَا يَنْطَبِقُ عَلَى تَجَارِبِهِ المُخْتَلِفَةِ. مِثَالٌ عَلَى الغَنَاوَةِ فِي صُورَةِ الوَمْضَةِ الشَّاعِرِيَّةِ
يَقُولُ الشَّاعِرُ البَدَوِيُّ: "مِنْ كَثْرِ مَقْعَدِي فِي الدَّارِ، النَّاسْ نِينْ سَمُّوهَا عَلَيَّ"
أَيْ إِنَّهُ اعْتَادَ الجُلُوسَ فِي بَيْتِ الحَبِيبِ بَعْدَمَا أَصْبَحَ خَاوِيًا وَمَهْجُورًا حَتَّى أَطْلَقَ النَّاسُ اسْمَهُ عَلَى هَذَا البَيْتِ، فَعِنْدَمَا يُشَارُ إِلَيْهِ يُقَالُ بَيْتُ فُلَانٍ، وَهَذِهِ دَلَالَةٌ عَلَى مَدَى تَأَثُّرِ الشَّاعِرِ بِهَذَا البَيْتِ وَمَدَى حَسْرَتِهِ وَاشْتِيَاقِهِ لِحَبِيبِهِ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُ فِي هَذَا البَيْتِ. وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى طُولِ المُدَّةِ الَّتِي تَرَكَ فِيهَا حَبِيبُهُ هَذَا البَيْتَ حَتَّى نَسِيَ النَّاسُ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ فِيهِ وَمَنْ هُمْ أَصْحَاب وَنَسَبُوهُ لِلشَّاعِرِ. وَيُمْكِنُنَا صِيَاغَةُ هَذِهِ الوَمْضَةِ التُّرَاثِيَّةِ عَلَى طَرِيقَةِ الوَمْضَةِ الشَّاعِرِيَّةِ فَنَقُولُ: عُنْوَانُ (انْتِظَارٍ) سَكَنْتُ أَطْلَالَ بَيْتِهِ، أَطْلَقُوا اسْمِي عَلَيْهَا. ثَانِيًا: القَذَّارَةُ وَهِيَ أَيْضًا مِنَ الصُّوَرِ الأُخْرَى لِلْوَمْضَةِ عِنْدَ بَادِيَتِنَا العَرَبِيَّةِ، وَالَّتِي تُصَاحِبُ مَوْسِمَ جَزِّ صُوفِ الأَغْنَامِ "الجَلَامَةِ". - (القَذِيرُ) وَالمُفْرَدُ (قِذَّارَةٌ).. وَأَصْلُهَا فِي اللُّغَةِ (قُذَرَةٌ: يُقَالُ رَجُلٌ قُذَرَةٌ: أَيْ مُتَنَزِّهٌ عَمَّا يُلَامُ عَلَيْهِ) وَهُوَ بِالضَّبْطِ المَعْنَى المَقْصُودُ بِهَذَا الفَنِّ - النَّيْلُ مِنَ الخَصْمِ بِالشِّعْرِ المَرْمُوزِ دُونَ أَنْ يُلَامَ قَائِلُهُ. فَالقَذَّارَةُ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ تَحَدٍّ قَوِيٍّ بَيْنَ شَاعِرَيْنِ كَطَقْسٍ تُرَاثِيٍّ يُؤَدَّى أَثْنَاءَ جَزِّ صُوفِ الأَغْنَامِ بِعِبَارَاتٍ تَحْمِلُ أَفْكَارًا

بَلِيغَةً وَمُرَكَّزَةً لِلْغَايَةِ فِي مَعَانِيهَا وَلَهَا إِسْقَاطَاتٌ جَمِيلَةٌ، فَيَتَّخِذُ كُلٌّ مِنْهُمَا رَمْزًا يُدَافِعُ عَنْهُ بِالقَذَّارَةِ، إِمَّا (الذِّيبُ) أَوْ (الرَّاعِي).
وَتُنَظَّمُ كَقَصِيدَةٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ.. تُشْبِهُ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ فِي الشَّكْلِ (غَنَاوَةَ العِلْمِ).
وَمِنْ أَمْثِلَةِ القَذِيرِ يَقُولُ الشَّاعِرُ مُمَثِّلًا (الذِّيبَ) (شَايِلُ عَنَاقِ البَيْتِ.. الذِّيبُ جَاكَ يَا بُو بُنْدُقَةٍ) وَتَعْنِي السُّخْرِيَةَ مِنَ الرَّاعِي حَامِلِ البُنْدُقِيَّةِ لِأَنَّ الذِّيبَ خَطَفَ إِحْدَى صِغَارِ المَاعِزِ، وَهِيَ تَعْتَمِدُ أَيْضًا عَلَى التَّشْوِيقِ وَتُغَنَّى بِنَفْسِ طَرِيقَةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ الَّتِي تُؤَدَّى بِهَا الغَنَاوَةُ، فَيَبْدَأُ الشَّاعِرُ بِالمَقْطَعِ التَّالِي "يَا أَبُو بُنْدُقَةٍ" وَيُكَرِّرُهُ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ لِلشَّاطِرَةِ الأُولَى فِي القَذَّارَةِ وَيَقُولُ "شَايِلُ عَنَاقِ البَيْتِ"، وَهُنَا لَا يَظْهَرُ المَعْنَى المَرَادُ مِنَ القَذَّارَةِ إِلَّا بَعْدَمَا يُضِيفُ المَقْطَعَ الأَخِيرَ "الذِّيبُ جَاكَ" وَيُغَنِّيهَا كَامِلَةً.
وَيُمْكِنُ صِيَاغَتُهَا كَوَمْضَةٍ حَدِيثَةٍ كَالتَّالِي: - عُنْوَانُ (ظَفَرٍ) بَالَغُوا فِي حِرَاسَتِهَا، أُعِيدَتْ إِلَيْهِمْ مَحْمُولَةً. وَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَحَدٍّ فَيَرُدُّ عَلَيْهِ الشَّاعِرُ الآخَرُ مُمَثِّلًا (الطِّرَايِّ) وَهُوَ المُدَافِعُ عَنِ الغَنَمِ أَوِ الرَّاعِي، وَيُبَادِرُ بِنَظْمِ قَذَّارَةٍ مُضَادَّةٍ دُونَ الخُرُوجِ عَنِ المَوْضُوعِ وَالسِّيَاقِ – فَيَقُولُ مَثَلًا
(غَالِيَةٌ عَلَى الرُّعْيَانِ.. يَشْقَى الذِّيبُ يَامَا دُونَهَا) وَتَعْنِي تَكْذِيبَ الخَبَرِ، لِأَنَّ تِلْكَ المَخْطُوفَةَ مُحَبَّبَةٌ لَدَى الرَّاعِي وَلَا يَسْتَطِيعُ الذِّيبُ سَرِقَتَهَا مَهْمَا حَاوَلَ، لِأَنَّ المُحَبَّبَةَ تَكُونُ دَائِمًا قَرِيبَةً مِنَ الرَّاعِي وَلَا تَغِيبُ عَنْ نَظَرِهِ. وَمِنَ الأَمْثِلَةِ أَيْضًا الَّتِي تُثْبِتُ قُوَّةَ التَّحَدِّي بَيْنَ الشُّعَرَاءِ فِي هَذِهِ الوَمَضَاتِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ (لَقِيُوا رَمِيمَتَهُ مَقْتُولًا.. الذِّيبُ وَيْنَ مَا جَا لِلْغَلَمِ) أَيْ وُجِدَتْ جُثَّةُ الذِّيبِ مَقْتُولَةً عِنْدَمَا حَاوَلَ الاقْتِرَابَ مِنَ الأَغْنَامِ، فَيَرُدُّ الآخَرُ (يَتَاوَقُ عُقَابَ اللَّيْلِ.. الذِّيبُ يَا غَلَمِ مَا يُنْقَتِلُ) أَيْ أَنَّ الذِّيبَ يَظْهَرُ فِي أَوَاخِرِ اللَّيْلِ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ قَتْلَهُ. وَتَكْمُنُ قُوَّةُ البَلَاغَةِ وَرَوْعَةُ هَذِهِ الوَمَضَاتِ فِي أَنَّ كُلَّ الأَمْثِلَةِ السَّابِقَةِ لَهَا دَلَالَاتٌ غَيْرُ مُبَاشِرَةٍ لَا يُلَامُ قَائِلُهَا لِأَنَّ ظَاهِرَهَا يَخْتَلِفُ عَنْ مَعَانِيهَا المُخْتَلِفَةِ المُخَبَّأَةِ فِي بَطْنِ الشَّاعِرِ، فَالذِّيبُ هُوَ شَابٌّ يُحَاوِلُ خِطْبَةَ فَتَاةٍ أَعْجَبَتْهُ، وَالعَنَاقُ هِيَ فَتَاةٌ يَحْمِيهَا الرَّاعِي وَيَحْفَظُهَا مِنَ الغُرَبَاءِ، وَالرَّاعِي هُوَ الأَبُ أَوِ الأَخُ وَهَكَذَا، فَكُلُّ مَا تَغَنَّى بِهِ الشُّعَرَاءُ لَهُ رَمْزِيَّةٌ وَدَلَالَةٌ تَخْتَلِفُ عَنْ ظَاهِرِ النَّظْمِ،

لِذَلِكَ لَمْ نُبَالِغْ عِنْدَمَا قُلْنَا إِنَّ الوَمْضَةَ الحَدِيثَةَ مَا زِلتَ تَحْبُو أَمَامَ هَذِهِ الوَمْضَةِ التُّرَاثِيَّةِ العَمِيقَةِ وَالمُكْتَفَةِ وَالمُرَمَّزَةِ وَالمُوحِيَةِ وَالبَلِيغَةِ وَالمُبَاغِتَةِ وَالدَّاهِشَةِ وَالغَيْرِ مُبَاشِرَةٍ.

ثَالِثًا: الشِّتَّاوَةُ

لُغَوِيًّا مِنَ الفِعْلِ شَتَّ شَتَّ بِقَلْبِهِ الوَجْدُ: أَثَارَهُ وَبَلْبَلَ تَفْكِيرَهُ وَهِيَ أَيْضًا عِبَارَةٌ مِنْ شَاطِرَيْنِ مُقَفَّيَيْنِ مُوزُونَيْنِ وَتَحْمِلُ فِكْرَةً أَوْ حِكْمَةً، وَتُقَالُ بِوَاسِطَةِ الغَنَّايِ وَيَتِمُّ تَكْرَارُهَا مَعَ التَّصْفِيقِ بِقُوَّةٍ فِي الصَّفِّ أَوْ فِي الصَّابِيَةِ، وَالصَّابِيَةُ هِيَ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الفَنِّ المَطْرُوحِيِّ التُّرَاثِيِّ القَدِيمِ حَيْثُ يَقِفُ الرِّجَالُ وَالشَّبَابُ صَفًّا وَاحِدًا بَيْنَمَا تَقُومُ "الحَجَّالَةُ" بِالرَّقْصِ أَمَامَ هَذَا الصَّفِّ مَعَ إِطْلَاقِ الصَّيْحَاتِ وَالتَّصْفِيقِ بِقُوَّةٍ.

وَلَوْ أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِي مُحْتَوَى غَالِبِيَّةِ الشِّتَّاوَاتِ مِنْ مَعَانِي قَاسِيَةٍ وَمُصَاحَبَتِهَا لِلتَّصْفِيقِ وَالرَّقْصِ سَنَجِدُ أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ العِلَاجِ النَّفْسِيِّ وَحَالَةٌ مِنَ البُكَاءِ المُسْتَتِرِ لِتَفْرِيغِ الطَّاقَةِ السَّلْبِيَّةِ وَالهُمُومِ عَنْ طَرِيقِ التَّغَنِّي بِمَا يُصِيبُهُمْ مِنْ مُعَانَاةٍ مَعَ التَّصْفِيقِ وَالرَّقْصِ، أَشْبَهُ بِتِلْكَ الحَالَةِ الَّتِي تُصِيبُ المُتَصَوِّفِينَ فِي تَحْرِيرِ الجَسَدِ أَثْنَاءَ المَدْحِ.

وَمِنْ أَمْثَالِ الشِّتَّاوَةِ

اللِّي سَمَرَ عَيْنِي فِي لَيْلٍ *** غَالِي حَايِسْ بَيْنَ عُوَيْلٍ وَتَعْنِي: أَنَّ الحَبِيبَ الَّذِي جَعَلَنِي أَسْهَرُ اللَّيْلَ؛ مُتَزَوِّجٌ وَلَهُ أَطْفَالٌ وَمَشْغُولٌ بِهِمْ.

عَيْنِي عَ لُولَافٍ انْهَدَّتْ = قَالَتْ يَا جَابَتْ يَا وَدَّتْ وَتَعْنِي: أَنَّ عَيْنَهُ بَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا عَلَى حَبِيبِهِ، وَقَالَتْ إِمَّا أَنْ يَنْفَعَهَا البُكَاءُ وَيُحْضِرَ الحَبِيبَ أَوْ لَا يَهْتَمَّ بِهَا وَيَنْتَهِي كُلُّ شَيْءٍ.

بَكَيْتِي وَاجِدْ عَ لُّولَافٍ = بْكَا مَا زَادَكْ غَيْرَ إِرْيَافٍ وَتَعْنِي: أَنَّ عَيْنَهُ بَكَتْ كَثِيرًا عَلَى حَبِيبِهِ وَلَكِنَّ هَذَا البُكَاءَ لَمْ يَزِدْهَا إِلَّا شَوْقًا وَحَسْرَةً عَلَى فِرَاقِهِ. وَنَدْعُو كُتَّابَ القِصَّةِ وَالمَوْضَاتِ بِالمُرُورِ عَلَى غَنَاوِي العِلْمِ وَالشِّتَّاوَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَدَبِ البَادِيَةِ وَإِلْقَاءِ النَّظَرِ عَلَى الوَمْضَةِ العَرَبِيَّةِ الأَصِيلَةِ فِي صُوَرِهَا المُتَعَدِّدَةِ وَلَيْسَ فَقَطْ فِي صُورَةِ المُفَارَقَةِ.

المراجع

(1) البحراوي، سيد؛ (1996) البحث عن لؤلؤة المستحيل، ط 1، القاهرة: دار الشرقيات للنشر والتوزيع

منعم لعبيدي